

تأليف
السيد محمد عمر بن حسن فاضل

□ هذه الدراسة نالت بها الكاتبة درجة الماجستير من جامعة أم القرى بمكة المكرمة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية سنة ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله الرؤوف الصبور القدوس الشكور الودود الغفور الذى خلق البشر ووهبهم النعم وأرسل لهم رسلاً يأمرهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر.. رسلاً ينيرون لهم طريق حياتهم المستقيم ويعرفونهم دينهم القويم.. لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل.

وصلى الله تعالى على سيد الخلق والبشر الذى بلغ الأمانة ونصح الأمة وجاهد فى سبيل دعوته إلى الله . وصبر على ما وجده من مشقة أيما صبر لدرجة يمكن القول عندها : انه ﷺ أصبر خلق الله لحكمه واشكرهم لنعمه .. وعلى آله وصحبه وسلم .

وبعد .. فالله سبحانه وتعالى حينما خلق الناس واستخلفهم فى أرضه جعل لهم عقولا بها يتميزون عن غيرهم من سائر المخلوقات .. وبهذه المنحة الالهية كان تكريم بنى آدم كما قال تعالى ﴿ولقد كرّمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر﴾^(١) .

فبالعقل يستطيع المرء أن يميز الحق من الباطل ، والخير من الشر والنافع من الضار والحسن من السيئ .. والعقل السليم هو الذى ينير لصاحبه طريقه ويهديه ويرشده ويجعله يأخذ معظم الأمور

(١) سورة الاسراء الآية ٧٠ .

بالتروى والصبر ، ومن ثم أكثر الناس صبرا وتعقلا أكثرهم نجاحا وفلاحا .

هذا وقد كان سبب اختياري للموضوع نابعاً من مشاعرى وأحاسيسى بالاحتياج الكامل للصبر فى جميع تعامل الناس بعضهم ببعض سواء كانت معاملاتهم دينية أو دنيوية .. هذا أولاً .

وثانياً : لألقى ضوءاً يسيراً على ذلك الخلق الكريم (الصبر) الذى جعله الله سبحانه وتعالى جوادا لا يكبو وصارما لا ينبو .. والذى ضمن لأهله فى محكم كتابه أنه يوفيه أجراً بغير حساب .. والذى أكثر سبحانه من ذكره أكثر من أى خلق آخر .

ولما كان الصبر خلقاً من أعظم أخلاق المؤمنين وله منزلة من أرفع منازل الصالحين .. وكان الحديث عنه يتفرع ويطول أحببت أن أبين أهم ما يتعلق به فى إيجاز أرجو الله تعالى ألا يكون محلاً .

ولقد صنف هذه الرسالة على أربعة أبواب وكل باب منها يشتمل على فصول .. وأسماء هذه الأبواب هى :

الباب الأول : تمهيد فى حسن الخلق - وتحتة فصول هى :

- ١ - تعريف الخلق لغة وشرعاً .
- ٢ - أمهات الأخلاق ومنها العفة ويندرج تحت العفة الصبر .
- ٣ - مظاهر حسن الخلق .. وهى كثيرة ومتعددة ومتفرعة (اقتصرت على ما سهله الله لى)
- ٤ - الأحاديث الدالة على فضيلة حسن الخلق .

الباب الثاني : الصبر وحقيقته - وتحتة الفصول التالية :

- ١ - معنى الصبر لغة وفيه اقتصر على المعنى المقصود الذى يخلصنا .
- ٢ - حقيقته ومعناه الشرعى .
- ٣ - عناية القرآن الكريم والسنة المطهرة بفضيلة الصبر .
- ٤ - أسماء الصبر بالاضافة إلى متعلقه .. أى المصبور عنه .

الباب الثالث : أقسام الصبر وتحتة فصول :

- ١ - أقسام الصبر بحسب اختلاف قوته وضعفه .
- ٢ - انقسامه باعتبار تعلق الأحكام الخمسة به .. أى متى يكون واجبا ومندوبا .
- ٣ - انقسامه باعتبار محله . أى متى يكون بدنيا ومتى يكون نفسيا .

الباب الرابع : وتحتة الفصول التالية :

- ١ - أنواع الصبر - أى الواجب وهى ثلاثة : صبر على الطاعة ، وصبر عن المعصية ، وصبر على البلاء .
- ٢ - الأسباب التى تعين على الصبر وهى ليست موجودة ومنظمة تحت أسباب يمكن أن نعطي الواحد منها عنوانا كما فعلت .. بل حاولت ما استطعت أن أكون من المتفرق وحدة وان أضعها تحت عناوين عامة بحيث تعطى الموضوع جدة وطرافة .

بالتروى والصبر ، ومن ثم أكثر الناس صبرا وتعقلا أكثرهم نجاحا وفلاحا .

هذا وقد كان سبب اختياري للموضوع نابعاً من مشاعري وأحاسيسي بالاحتياج الكامل للصبر في جميع تعامل الناس بعضهم ببعض سواء كانت معاملاتهم دينية أو دنيوية .. هذا أولاً .

وثانياً : لألقى ضوءاً يسيراً على ذلك الخلق الكريم (الصبر) الذي جعله الله سبحانه وتعالى جوادا لا يكبو وصارما لا ينبو .. والذي ضمن لأهله في محكم كتابه أنه يوفيه أجراً بغير حساب .. والذي أكثر سبحانه من ذكره أكثر من أى خلق آخر .

ولما كان الصبر خلقاً من أعظم أخلاق المؤمنين وله منزلة من أرفع منازل الصالحين .. وكان الحديث عنه يتفرع ويطول أحببت أن أبين أهم ما يتعلق به في إيجاز أرجو الله تعالى ألا يكون محلاً .

ولقد صنفت هذه الرسالة على أربعة أبواب وكل باب منها يشتمل على فصول .. وأسماء هذه الأبواب هي :

الباب الأول : تمهيد في حسن الخلق - وتحتة فصول هي :

- ١ - تعريف الخلق لغة وشرعاً .
- ٢ - أمهات الأخلاق ومنها العفة ويندرج تحت العفة الصبر .
- ٣ - مظاهر حسن الخلق .. وهي كثيرة ومتعددة ومتفرعة (اقتصرت على ما سهله الله لي)
- ٤ - الأحاديث الدالة على فضيلة حسن الخلق .

الباب الأول

- الفصل الأول : تعريف الخلق لغة وشرعاً .
- الفصل الثاني : أمهات الأخلاق .
- الفصل الثالث : مظاهر حسن الخلق .
- الفصل الرابع : الأحاديث الدالة على فضيلة حسن الخلق .

بالتروى والصبر ، ومن ثم أكثر الناس صبرا وتعقلا أكثرهم نجاحا وفلاحا .

هذا وقد كان سبب اختياري للموضوع نابعاً من مشاعري وأحاسيسي بالاحتياج الكامل للصبر في جميع تعامل الناس بعضهم ببعض سواء كانت معاملاتهم دينية أو دنيوية .. هذا أولاً .

وثانياً : لألقى ضوءاً يسيراً على ذلك الخلق الكريم (الصبر) الذي جعله الله سبحانه وتعالى جوادا لا يكبو وصارما لا ينبو .. والذي ضمن لأهله في محكم كتابه أنه يوفيه أجراً بغير حساب .. والذي أكثر سبحانه من ذكره أكثر من أى خلق آخر .

ولما كان الصبر خلقاً من أعظم أخلاق المؤمنين وله منزلة من أرفع منازل الصالحين .. وكان الحديث عنه يتفرع ويطول أحببت أن أبين أهم ما يتعلق به في إيجاز أرجو الله تعالى ألا يكون محلاً .

ولقد صنف هذه الرسالة على أربعة أبواب وكل باب منها يشتمل على فصول .. وأسماء هذه الأبواب هي :

الباب الأول : تمهيد في حسن الخلق - وتحتة فصول هي :

- ١ - تعريف الخلق لغة وشرعاً .
- ٢ - أمهات الأخلاق ومنها العفة ويندرج تحت العفة الصبر .
- ٣ - مظاهر حسن الخلق .. وهي كثيرة ومتعددة ومتفرعة (اقتصرت على ما سهله الله لي)
- ٤ - الأحاديث الدالة على فضيلة حسن الخلق .

الفصل الأول

تعريف الخلق لغة وشرعاً

الانسان مدنى بالطبع اجتماعى بالفطرة ، يأنس بينى جنسه ويأنسون به ، ومعاملتهم لها حقوق وآداب جمعة يجدر بكل انسان أن يتحلى بها فالمرء قليل بنفسه كثير باخوانه ، وأعظم مؤثر فى الالفه الاجتماعية على الاطلاق حسن الخلق ، وقد حث عليه الدين كثيراً لأنه موجب للتحاب والتآلف على الاطلاق .

وجاء الاسلام دين البشرية الصالح لكل زمان ولكل مكان فاعتبر الاخلاق من صميم الدين وليست خارجه عنه وليس أدل على ذلك من قوله تعالى فى مدح نبيه ﷺ ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خَلْقٍ عَظِيمٍ﴾ (١) ومن قوله ﷺ «انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» (٢) ومن ثم فنداء الوقت وواجب الساعة أن نهىء نفوسنا تهيئة روحية ايمانية خلقية علمية وذلك للنهوض بمجتمعنا الاسلامى إلى خير المستويات مستهدفين ما فيه مصلحة ديننا ودنيانا .. لذا كان لا بد لنا أن نعرف نبذة موجزة عن معنى الخلق وماهيته فى اللغة وفى الشرع .

(١) سورة القلم ٤ .

(٢) رواه أحمد ج ٢ ص ٣٨١ .

معنى الخلق لغة :

يقول ابن منظور :

الخلق والخلق بضم وبضميتين : السجية والطبع والدين ، وتخلق بخلق كذا : استعمله من غير أن يكون مخلوقا في فطرته .
وقوله تخلق مثل تجميل أى اظهر جمالا وتصنع وتحسن انما تأويله الأظهار وفلان يتخلق بغير خلقه ، أى يتكلفه .

قال سالم بن وابصة :

يا أيها المتحلى غير شيمته ان التخلق يأتى دونه الخلق
وخالق الناس : أى عاشرهم على أخلاقهم .^(١)
ويقول مجد الدين فى قاموسه :

الخلق والخلق بالضم وبضميتين : السجية والطبع والمروءة والدين^(٢) ويقال ، فلان حسن الخلق ، أى حسن الصورة الظاهرة له والهيئة الخارجية لتركيبه ، والحسن كما نعلم ضد القبح .
وفلان حسن الخلق : أى حسن الصورة الباطنة والهيئة الداخلية له^(٣) . فالخلق : للصورة الظاهرة للانسان وأوصافها ومعانيها المدركة بالبصر أما الخلق فهو للصورة الباطنية المركبة من روح ونفس المدركة بالبصيرة ، والثواب والعقاب انما يتعلقان بأوصاف الصورة الباطنة لا بأوصاف الصورة الظاهرة .
لذا تكررت الآيات والأحاديث فى مدح حسن الخلق فى غير موضع .

(١) لسان العرب ج ١ ص ٨٨٩ . (٢) القاموس المحيط ج ٣ ص ٢٣٦ .

(٣) تاج العروس ج ٦ ص ٣٣٧ .

معنى الخلق فى الاصطلاح :

الخلق : عبارة عن هيئة فى النفس راسخة ، عنها تصدر الأفعال والأقوال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية .^(١) وهى قابلة بطبعها لتأثير التربية الحسنة والسيئة فيها ، فإذا ما ربيت هذه الهيئة على إثارة الفضيلة والحق وحب المعروف والرغبة فى الخير وروضت على حب الجميل وكراهية القبيح ، وأصبح ذلك طبعاً لها تصدر عنه الأفعال الجميلة بسهولة ودون تكلف قيل فيه : خلق حسن .

ونعتت تلك الأفعال الجميلة الصادرة عنه بدون تكلف بالأخلاق الحسنة وذلك كخلق الحلم والأناة-والصبر والتحمل والكرم والشجاعة والعدل والاحسان وما إلى ذلك من الفضائل الخلقية والكمالات النفسية ، كما أنها إذا أهملت فلم تهذب التهذيب اللائق بها ولم يعن بتنمية عناصر الخير الكامنة فيها أو ربيت تربية سيئة حتى أصبح القبيح محبوباً لها والجميل مكروها عندها ، وضارت الرذائل والنقائص من الأقوال والأفعال تصدر عنها بدون تكلف قيل فيها : خلق سيئ . وسميت تلك الأقوال والأفعال الذميمة التى تصدر عنها بالأخلاق السيئة وذلك كالحيانة والكذب والجزع والطمع والجفاء والغلظة والفحش والبذاء وما إليها .^(٢)

(١) أحياء علوم الدين ج ٣ ص ٥٢ .

(٢) منهاج المسلم لأبى بكر جابر الجزائري ص ١٥١ .

الفصل الثانى

أمهات الأخلاق وأصولها

هى أربعة : الشجاعة والحكمة والعدل والعفة .

□ ونعنى بالحكمة : حالة للنفس بها يدرك المرء الصواب من الخطأ فى جميع الأفعال الاختيارية .

□ أما العدل : فهو حالة للنفس وقوة بها تسوس الغضب والشهوة وتحملها على مقتضى الحكمة وتضبطها فى الاسترسال والانقباض على حسب مقتضاها .

ونعنى بالشجاعة : كون قوة الغضب متقادة للعقل فى إقدامها وإحجامها .

□ والعفة : هى تأدب قوة الشهوة بتأديب العقل والشرع .
فن اعتدال هذه الأصول الأربعة تصدر الأخلاق الجميلة كلها .

إذ من اعتدال قوة العقل يحصل حسن التدبير وجودة الذهن وثقابة رأى واصابة الظن والتفطن لدقائق الأعمال وخفايا آفات النفوس .

ومن افراطها يصدر المكر والخداع والدهاء .

معنى الخلق لغة :

يقول ابن منظور :

الخلق والخلق بضم وبضميتين : السجية والطبع والدين ، وتخلق بخلق كذا : استعمله من غير أن يكون مخلوقا في فطرته .
وقوله تخلق مثل تجميل أى اظهر جمالا وتصنع وتحسن انما تأويله الأظهار وفلان يتخلق بغير خلقه ، أى يتكلفه .

قال سالم بن وابصة :

يا أيها المتحلى غير شيمته ان التخلق يأتى دونه الخلق
وخالق الناس : أى عاشرهم على أخلاقهم .^(١)
ويقول مجد الدين فى قاموسه :

الخلق والخلق بالضم وبضميتين : السجية والطبع والمروءة والدين^(٢) ويقال ، فلان حسن الخلق ، أى حسن الصورة الظاهرة له والهيئة الخارجية لتركيبه ، والحسن كما نعلم ضد القبح .
وفلان حسن الخلق : أى حسن الصورة الباطنة والهيئة الداخلية له^(٣) . فالخلق : للصورة الظاهرة للانسان وأوصافها ومعانيها المدركة بالبصر أما الخلق فهو للصورة الباطنية المركبة من روح ونفس المدركة بالبصيرة ، والثواب والعقاب انما يتعلقان بأوصاف الصورة الباطنة لا بأوصاف الصورة الظاهرة .
لذا تكررت الآيات والأحاديث فى مدح حسن الخلق فى غير موضع .

(١) لسان العرب ج ١ ص ٨٨٩ . (٢) القاموس المحيط ج ٣ ص ٢٣٦ .

(٣) تاج العروس ج ٦ ص ٣٣٧ .

والشره^(١) والوقاحة والخبث والتبذير والتقصير والرياء والهتكة
والمجانة^(٢) والعبث والملق^(٣) والحسد والشامة والتذلل للأغنياء
واستحقار الفقراء^(٤).

-
- (١) الشره : هو الأكل فوق الحاجة - المنجد ص ٣٨٥ ، الاتهامك في اللغات والخروج
فيها عما ينبغي : تهذيب الأخلاق ص ٢٧ ، والمراد هنا عدم الرضا بما قسم الله
وحب الاستحواذ على ما عند الغير .
- (٢) المجانة : أن لا يبالي ما صنع وما قيل له ، والماجن عند العرب : الذي يرتكب
المقايح المروية والفضائح المخزية ولا يحضه عذل عاذل ولا تقرع من يقرعه - لسان
العرب ج ٣ ص ٤٤٢ .
- (٣) الملق : الزيادة في التودد والدعاء والتضرع فوق ما ينبغي ، ورجل ملق : يعطى
بلسانه ما ليس في قلبه - لسان العرب ج ٣ ص ٥٢٧ .
- (٤) احياء علوم الدين ج ٣ ص ٥٣ .

الفصل الثالث

مظاهر حسن الخلق

ذكرت في تعريف الخلق أنه ملكة راسخة في النفس تصدر عنها الأقوال والأفعال من غير فكر ولا روية ، ولهذه الملكة في النفس مظاهر في الخارج .. منها ما هو من الأقوال ومنها ما هو من قبيل الأفعال « ومنها ما يرجع إلى السمات والهيئة التي يكون عليها الرجل ذو الخلق .. وسأذكر هذه المظاهر أو جلها من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة على حسب علمي .

أولاً : الآيات القرآنية الداعية لحسن الخلق

١ - قال تعالى : (١)

﴿وَعِبَادَ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا * وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا * (٢) إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا * وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا (٣)﴾

(١) سورة الفرقان (٦٣ : ٧٤) .

(٢) غراماً : ملماً لازماً غير مفارق من عذب به من الكفار مهلكاً له .

(٣) الاسراف في النفقة : ما جاوز الحد الذي أباحه الله لعباده إلى ما فوقه .

وَلَمْ يَقْتُرُوا^(١) وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا^(٢) * وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا^(٣) * بُضَاعَةً لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا * إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا * وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا * وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ^(٤) وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ^(٥) مَرُّوا كِرَامًا * وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخْرُؤْا عَلَيْهَا ضُمًّا وَعُمْيَانًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿١٠٠﴾ .

في هذه الآيات الكريمة بين المولى عز وجل أن مشية عباد الرحمن متواضعة سهلة لا تكلف فيها ولا تصنع ولا خيلاء ولا تخلع

(١) الاقتار : ما قصر عما أمر الله به .

(٢) القوام : التفة بالعدل والمعروف - جامع البيان ج ١٩ ص ٢٣ : ٢٥ ، وقال الزمخشري في الكشاف القوام : العدل بين الشيئين لاستقامة الطرفين واعتدالهما ج ٣ ص ١٠٠ .

(٣) الاثام : واد في جهنم - ابن كثير ج ٣ ص ٣٢٦ .

(٤) الزور : قيل هو الشرك وعبادة الأصنام وقيل الكذب والفسق والكفر والباطل وقيل هو اللغو والغناء . ويحتمل الكل - ابن كثير ج ٣ ص ٣٢٨ .

(٥) اللغو : هو كل كلام أو فعل باطل لا حقيقة له ولا أصل أو ما يستقيح كسب الانسان بالباطل وذكر النكاح وتعظيم المشركين آتهم وسباع الغناء فكل ذلك يدخل في معنى اللغو - جامع البيان ج ١٩ ص ٣٢ .

وإنما فيها الجدد والسكينة والوقار والقوة .. وهم لا يلتفتون إلى السفهاء والجهال وإذا خاطبواهم يخاطبونهم بالسلام ليس عن ضعف وعجز وإنما عن ترفع واستعلاء يعفون عنهم ويصفحون ويصبرون ولا يقولون إلا خيرا .

وهم في الليل قوم مشغولون عن النوم المريح بما هو أروح منه وأمتع عاملون بالتوجه إلى ربهم .. الناس نيام وهم قائمون ساجدون ممتلئة قلوبهم بالتقوى والخوف من عذاب جهنم - الملازم المهلك لمن عذب به - هم معتدلون في انفاقهم بين الاسراف والتبذير والاقتار والتضييق وفوق هذا لا يشركون بالله ويتخرجون من قتل النفس الا بالحق ومن الزنا - الكبائر التي تستحق أليم العذاب والذي ينجو منه من تاب وآمن الإيمان الصحيح وعمل صالحاً حيث تبدل سيئاته حسنات وكان الله غفورا رحيماً - وهم لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا به كراماً لا يشغلون أنفسهم بسماعه ... ومن سماتهم أنهم سريعو التذكر إذا ذكروا يتعظون ويعتبرون ويتلقون آيات ربهم بالفهم والاعتبار ويرجون أن تعقبهم ذرية تسير على نهجهم حتى تفر عيونهم وتطمئن قلوبهم .^(١)

(١) من ظلال القرآن - سيد قطب - ج ٦ ص ١٨٢ .

٢ - وقال تعالى : (١)

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) *
وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ (٣) فَاعِلُونَ *
وَالَّذِينَ هُمْ لِأُفْجَاهِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ
أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنْ أَتَعَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ
الْعَادُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ
عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾

وهؤلاء كتب المولى عز وجل لهم الفلاح لاتصافهم بصفات
عظيمة .. صفات لها قيمتها في ذاتها وفي حياة النوع الانساني
وهي :

١ - أن نفوسهم تستشعر رهبة الموقف في الصلاة فتخشع ويسرى
منها الخشوع إلى الجوارح والحركات والملامح .. فهم لا
يشهلون الا الله ولا يحسون الا اياه .. ويكونون في حالة
خشوع تامة .

٢ - وهم أيضاً معرضون عن اللغو بجميع أنواعه ، لغو القول ،

(١) سورة المؤمنون ١ : ١٠ .

(٢) الخشوع في الصلاة : خشية القلب والباد البصر عن قتادة : وهو الزامه موضع
السجود ومن الخشوع أن يستعمل الآداب فيتوقى كفى الثوب والعبث بجسده وثيابه
والالتفات والتعطى والتثاؤب والتفغيض وتغطية الفم والفرقة والتشبيك وتقليب
الحصى .

(٣) الزكاة : اسم مشترك بين عين ومعنى فالعين القدر الذى يخرج من المالك من النصاب
إلى الفقير ، والمعنى : فعل المالك الذى هو التزكية وهو الذى أراد الله فجعل المالكين
فاعلين له - الكشف جف ٣ ص ٢٥ ، ٢٦ .

لغو الفعل ولغو الاهتمام والشعور ، الى ذكر الله وتدبر آياته في
الأنفس والآفاق .

٣ - مهتمون بما فرض عليهم من زكاة فيها طهارة للقلب من الشح
وثقة بما عند الله من العوض والجزاء .. زكاة فيها طهارة للمال
أيضاً وتجعل ما بقي منه بعدها حلالاً لا يتعلق به حق لأحد الا
في حالات الضرورة .

٤ - وهم كذلك حافظو قلوبهم من التطلع إلى الحرام ضابطو
أنفسهم من دنس المباشرة في غير حلال .. عالمون بالمواضع
النظيفة التي يحل للواحد منهم أن يودعها بذور الحياة .. وهي
الأزواج وملك اليمين .

٥ - وهم راعون لأماناتهم وعهدهم أفراداً وجماعات .. راعون
لكل أمانة ولكل عهد ..

٦ - وهم لا يضيعون صلاتهم ولا يقصرون في أدائها كما ينبغي
وانما يقيمونها كاملة الفرائض والسنن .. في أوقاتها ..
المحددة .. مستوفية الأركان والواجبات .

٣ - وقال تعالى : (١)

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ
عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ
الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ
دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾

(١) سورة الانفال ٢ : ٤ .

(٢) روح المعاني ج ٩ ص ١٤٦ .

وهذه بعض صفات المؤمنين الكاملى الايمان المخلصين فيه ..
 فهم إذا ذكر الله وجلت قلوبهم أى فرغت استعظماً لشأنه الجليل
 وتهيباً منه جل وعلا .. ولا منافاة بين هذه الآية والآية القائلة ﴿أَلَا
 بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ فالأطمئنان لا ينافى الوجل والخوف لأنه
 عبارة عن ثلج الفؤاد وشرح الصدر بنور المعرفة والتوحيد وهو يجمع
 الخوف ، ووفق بعضهم بين الآيتين بأن الذكر فى احدهما ذكر
 رحمة وفى الأخرى ذكر عقوبة فلا منافاة .

واخرج البيهقي وجماعة عن السدى أنه قال فى الآية : هو الرجل
 يريد أن يظلم أو يهمل بمعصية فيقال له اتق الله تعالى فيجل قلبه ،
 وحمل الوجل فى الآية على الخوف منه جل وعلا كلما ذكر أبلغ فى
 المدح من جملة على الخوف وقت الهم بمعصية أو ارادة ظلم^(١) .
 وهؤلاء المؤمنون الكاملو الايمان اذا تليت عليهم آيات القرآن
 ازدادوا بها ايمانا - وقد استدلل البخارى وغيره من الأئمة بهذه الآية
 وأشباهها على زيادة الايمان وتفاضله فى القلوب كما هو مذهب
 جمهور الأئمة بل قد حكى الاجماع عليه غير واحد من الأئمة^(٢) -
 وبقينا وطمأنينة زيادة على توكلهم عليه جل وعلا ، فهم يفوضون
 أمورهم إليه وحده فلا يرجون سواه ولا يقصدون الا اياه ولا
 يلوذون الا بجنابه ولا يطلبون الحوائج الا منه ولا يرغبون الا إليه
 ويعلمون أنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وانه المتصرف فى الملك
 وحده لا شريك له ولا معقب لحكمه وهو سريع الحساب .

(١) روح المعاني ج ٩ ص ١٤٦ .

(٢) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٢٨٥ .

ومن صفاتهم انهم يقيمون الصلاة محافظين على أوقاتها وشروطها وأركانها وسننها .. يؤدونها على أكمل وجه وكما ينبغي أن تؤدي علاوة على أنهم ينفقون بعضاً مما رزقهم الرزاق .. وما رزقهم الله كثير وهم انما ينفقون ويصرفون بعضاً منه سواء كان ذلك في زكاة أو موساة أو غيرها .

وهذه صفات جليلة انما توجد في المؤمن الحق لذا عقب سبحانه وتعالى بقوله ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ ولم يكتف جل وعلا بمدحهم وبيان حقيقة ايمانهم وانما وضع - زاد فضله - بأن لهم كرامات ومنازل عند ربهم ومغفرة وتجاوزاً عن سيئاتهم ورزقاً كريماً .. وهكذا بالتشكيك للدلالة على حسن الجزاء وكثرة العطاء .

٤ - وقال تعالى :

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُم لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾^(١)

تبين هذه الآية الكريمة أن الله سبحانه وتعالى يأمر عباده بالعدل^(٢) أى بالانصاف الذى لا يميل مع الهوى ولا يتأثر بود أو بغض أو بغي أو فقر أو بصره أو نسب . ومنه العدل فيما بين المرء وربه بتوحيده وعبادته واجتناب نواهيه واتباع أوامره . كما أن من الانصاف عدل المرء فيما بينه وبين نفسه بمتعتها عما فيه هلاكها ،

(١) سورة النحل آية ٩٠ .

(٢) بعض التفاسير تقول : ان العدل هو الواجب والاحسان هو التنب في العبادات خاصة لكن عموم اللفظ يجعل مفهوم العدل مطلقاً عدا كون العدل والاحسان مبنيين في الناحية الأخلاقية - الكشف ج ٢ ن ٤٢٤ ، ج ٢ ص ٢٩٧ النسق .

ومنه عدله فيما بينه وبين الخلق يبذل النصيحة وترك الخيانة وعدم الاساءة إلى الغير بقول أو فعل في سر أو علانية^(١) .

كما أنه جل شأنه يأمرهم بالاحسان إلى جوار العدل كي يدع الباب مفتوحاً لمن يريد أن يتسامح في بعض حقه ايثاراً لود القلوب وشفاء لما في الصدور ، ولمن يريد أن ينهض بما فوق العدل الواجب عليه ليداوى جرحاً أو يكسب فضلاً بمعنى أن كل عمل طيب احسان ومن الاحسان ايتاء ذى القربى أى مراعاة صلة القرابة والرحم تعظيماً لأمرهم وتوكيداً عليه .. بالسؤال عنهم .. بالانفاق عليهم .. بزيارتهم .. بتقديم شىء من الهدايا لهم .

وهو جل وعلا ينهى عن كل قبيح من الأقوال والأفعال ومنه ما خصص به وهو فاحشة الاعتداء على العرض^(٢) .

وينهى عن كل فعل تنكره العقول وتأباه الشريعة من معاصٍ ورذائل ودناءات . ويخص البغى بالذكر وان كان داخل تحت المنكر فيفصله عنه لشدة ضرره ولأنه يعنى الكبر والظلم والحقد وان كان حقيقته العدوان ومحاوزة القدر والحد من كل شىء .

وأمر الله عز وجل بالعدل والاحسان ونهيه عن الفحشاء والمنكر والبغى .. يوافق الطبيعة البشرية الصحيحة والقطرة السليمة والأخلاق الحميدة لذا عقب سبحانه وتعالى بقوله ﴿يعظكم لعلمكم تذكرون﴾ أى يذكركم أيها الناس لتذكروا فتعرفوا أوامره ونواهيه وتعرفوا الحق لأهله .

(١) تفسير القرطبي ج ٥ ص ٣٨٢ ، أحكام القرآن لابن العربي ج ٣ ص ١١٧٢ ..

(٢) تفسير القرطبي ج ٥ ص ٣٧٨٣ .

والم تأمل لهذه الآية الكريمة يرى أنها كما قال فيها ابن مسعود :
ان اجمع آية في القرآن خيراً أو لشر آية في سورة النحل ﴿ان الله يأمر
بالعدل﴾ الآية (١)

وقال فيها قتادة : ليس من خلق حسن كان أهل
الجاهلية يعملون به ويستحسنونه الا أمر الله به وليس من خلق سيء
كانوا يتعابرونه بينهم الا نهى الله عنه . (٢)
٥ - وقال تعالى :

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي
مِنَ الْمُسْلِمِينَ * وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ
أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلْقَاهَا
إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُرٌّ حَظٍ عَظِيمٍ﴾ (٣)

(١) الطبرى ج ١٤ ص ١٠٩ .

(٢) ابن كثير ج ٢ ص ٥٨٢ .

(٣) سورة فصلت ٣٣ - ٣٤ .

وهذه الآيات متضمنة لبعض مظاهر حسن الخلق مما يجب على الداعية إلى الله التحلى بها ... ذلك أن القيام بواجب الدعوة إلى الله . الدعوة إلى الخير أمره عظيم شأنه خطير يتطلب من الداعية أن تكون روحه سمحة وأن يكون حديثه صدقا وان تكون اخلاقه واسعة عالية يقول تعالى ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾ أى ليس هناك أفضل كلاما ولا أحسن حديثا من حديث الداعى إلى توحيد الله وطاعته المذكر بوجوده وربوبيته ، ليس هناك أحسن من حديث محمد ﷺ وذلك كما رواه ابن جرير . قال ابن زيد فى قوله

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا﴾ قال هذا رسول الله ﷺ . (١)

وروى ابن كثير عن السيدة عائشة - رضى الله عنها - وعن عكرمة وابن عمرو عن مجاهد أن قوله ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا﴾ إنما نزل فى المؤذنين . (٢)

(١) تفسير الطبرى ج ٢٤ ص ٧٥ .

(٢) تفسير ابن كثير ج ٤ ص ١٠١ .

ولا يمنع من اعتباره ﷺ المقصود كما لا يمنع من كون المؤذنين هم العينين بالآية .. والذي يترجح أن تكون الآية عامة في كل الدعاة إلى الله منها اختلفت اساليبهم ووظائفهم .. ويدخل فيها رسول الله ﷺ دخولاً أولياً ويشهد له ما رواه ابن جرير عن قتادة في قوله تعالى ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾ قال هذا عبد صدق قوله عمله ومولجه مخرجه وسره علانيته وشاهدته مغيبه وان المناقق عبد خالف قوله عمله ومولجه مخرجه وسره علانيته وشاهدته مغيبه (٣) .. وهذا ما رجحه سيد قطب في تفسيره (٤)

وفي قوله تعالى ﴿وَعَمَلٌ صَالِحًا﴾ قال ابن جرير في روايته عن قيس بن أبي حازم أنه قال : الصلاة ما بين الأذان إلى الإقامة (٥) وقال عكرمة ﴿وَعَمَلٌ صَالِحًا﴾ أى صلى وصام (٦) ، ولكن قوله تعالى ﴿وَعَمَلٌ صَالِحًا﴾ مطلق لا يعنى الصلاة فقط فكل عمل فيه طاعة للمولى عز وجل .. فيه اتباع أوامره واجتناب نواهيه فيه

(٣) تفسير الطبرى ج ٢٤ ص ٧٥ .

(٤) تفسير في ظلال القرآن ج ٢٤ ص ٢٤٠ .

(٥) تفسير الطبرى ج ٢٤ ص ٧٥ .

(٦) تفسير القرطبي ج ٧ ص ٥٨٠٤ .

مرضاته ومن ثم فيه فائدة عائدة على العامل وغيره فهو عمل صالح .

.. ﴿وقال انى من المسلمين﴾ أكد أن دعوته إلى الله وأعماله الصالحة جميعها إنما هي طاعة الله وخشوع له بالايان بوحدانيته وهذا القول ليس على سبيل الزهو والفخر وإنما على سبيل التحدث بنعمة الله ، ومن كان هذا دافعه لم يهمه أن تستقبل دعوته بالإعراض أو بسوء الأدب ذلك أنه عالم بأنه ﴿ولا تستوى الحسنة ولا السيئة﴾ أى مهما كانت فائرها وقيمتها لا تستوى مع السيئة كما لا يستوى العفو مع الانتصار ، وفرق عظيم أيضاً بين مداراة الأمر والغلظة فيه ﴿ادفع﴾^(١) بالتي هي أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾ نعم هناك فرق بين مقابلة الغضب بالغضب وبين مقابلة الغضب بالسكينة ، بين مقابلة الاساءة بالاساءة وبين مقابلتها بالعفو والصفح ، فرق بين تلبية رغبة النفس فى مواجهة الشر بالشر وبين كبت هذه الرغبة بمواجهة الشر بالخير .

إن القلب الكبير هو الذى يدفع بالتي هي أحسن فى جميع الحالات وان كانت لديه القدرة على الاساءة والرد .. وتلك نتيجتها حسنة حيث تدعو البادىء بالعداوة إلى التراجع عن عداوته وتغيير موقفه إلى موقف محبة وموالة وقرابة من المحسن .. تجعله ولياً قريباً حميماً .

(١) قال ابن عباس رضى الله عنه : أمره الله تعالى فى هذه الآية بالصبر عند الغضب والحلم عند الجهل والعفو عند الاساءة فإذا فعل الناس ذلك عصمهم الله من الشيطان وخضع لهم علومهم ، القرطبي ج ٧ ص ٥٨٠٦ .

﴿وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم﴾
وهذه السجية وهى مقابلة الاساءة بالاحسان درجة عظيمة من الأخلاق لا يلقاها كل انسان بل يلقاها أهل الحلم والصبر وبلقاها من يتفضل المولى عز وجل عليه بها ممن له نصيب وافر من السعادة فى الدنيا والآخرة .

وقد فسر قتادة الحظ العظيم بالجنة (١) .

وبعد .. فهذه مواضع كريمة من آيات الله العديدة ذات المواضع الكثيرة فى القرآن الكريم والتي فيها بيان صفات حميدة هى علامات حسن الخلق الواجب توافره فى الفرد المؤمن .. ثانيا
الأحاديث النبوية الداعية لحسن الخلق .

الأحاديث النبوية الداعية لحسن الخلق :

وهناك أحاديث جمّة شريفة تشير إلى صفات عظيمة هى فى الحقيقة علامات لحسن الخلق وثمراته منها :

١ - ما رواه مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبيع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله اخوانا ، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى ههنا - ويشير إلى صدره ثلاث مرات - بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه » (٢) .

(١) تفسير ابن جرير الطبرى ج ٢٤ ص ٧٦ .

(٢) صحيح مسلم كتاب البر والصلة باب تحرير ظلم المسلم وخذله واحتقاره ج ١٦ ص ١٧٠ .

جمع هذا الحديث خصالاً من الشر نهى عنها لأنها لا تتفق وخصال الخير التي دائماً يبحث عليها المصطفى عليه الصلاة والسلام فهى عن بيع المسلم على أخيه المسلم وعن التدابر والهجران والمعاداة وعن تمنى زوال النعمة عن الغير وعن اغراء الناس لشراء السلع ذلك أن عباد الله في الحقيقة إخوان سواء بسواء فلا يحل لأحد أيضاً أن يظلم أحداً ولا يترك نصرة أخيه بدون عذر ولا يحتقره ويستصغره لأن ذلك كله لا يفعله الا من كان قليل التقوى . فمن كانت خشية الله في نفسه غالبية ومراقبته دائمة لا يقوم بتلك الأعمال بل يجتنبها ويعظم حرمان أخيه المسلم ولأن تخلقه بذاك مصلحة لنفسه وأسرته وأمته ورفعة في دينه .

٢ - ومنها ما رواه مسلم عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه - أو قال لجاره - ما يحب لنفسه) ^(١) .

لو تأملنا هذا الحديث الشريف لوجدنا سبباً قوياً من الأسباب التي تعقد روابط الأخوة وتدعو إلى الألفة والمحبة ألا وهو محبة المرء لأخيه المسلم من الطاعات والأشياء والمباحات ما يحبه لنفسه تماماً ويكنى بهذا خلقاً دافعاً لمعاشرته غيره معاشره الأخوة الأشقاء في المودة والشفقة والتعاون والألفة والرفق والملاطفة .

٣ - ومنها ما رواه الترمذى عن عبدالله قال : قال رسول الله

(١) صحيح البخارى كتاب الإيمان باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحبه لنفسه - انظر فتح البارى ج ١ ص ٥٤ .

ﷺ «ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء» (١)
 يبين الحديث الشريف أن الأخلاق لها مكانة عالية في الإيمان
 وإن من لم يحسن خلقه : فينطق لسانه بالسباب واللعن ويخوض في
 الأعراض ويلفظ بهجر الكلام وقبيحه فهو ناقص الإيمان .. لم تملأ
 العقيدة نفسه ولم يتمكن الإيمان من قلبه ، فالمرء إنما يتم إيمانه إذا
 أدى ما أمر الله به ورسوله الكريم من عبادات وأخلاق وحسن
 معاملة للناس .

٤ - وجاء في صحيح مسلم عن النّوّاس بن سميّان الانصاري
 أنه قال : سألت رسول الله ﷺ عن البر والإثم فقال : «البر حسن
 الخلق والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس» (٢) .
 والبر هنا كلمة جامعة لكثير من الخيرات ، لكثير من الأعمال
 الصالحات وقد فسرها العلماء بعدة معان منها «الصلة وحسن
 الصحبة والعشرة والطف والطاعة» .. وهذه الكلمة ذات المعاني
 الجامعة لحسن الخلق هي مما يجب على المسلم الالتزام بها .. ومقابلها
 الإثم الذي فسره ﷺ بأنه ما تردد في النفس لم ينشرح له الصدر
 وحدث في القلب منه شك في كونه ذنباً لذا عقب ﷺ بقوله
 «وكرهت أن يطلع عليه الناس» وما يكرهه المرء من اطلاع الناس
 على أعماله إنما هو ارتكابه للذنوب .. للفواحش .. للمنكرات ..
 والأعمال الفاسدة التي لم تطمئن نفسه في تأديتها أو لم تنظر في عاقبة
 العمل أو كونها من الشبهات التي تؤدي إلى ارتكاب المحرمات ،

(١) الترمذى باب ما جاء في اللعنة ج ٣ ص ٢٣٦ .

(٢) صحيح مسلم كتاب البر والصلة باب تفسير البر والإثم ج ١٦ ص ١١٠ .

فالحديث الشريف مع وجازة ألفاظه وضع لنا قاعدة عظيمة دالة على كثير من الأخلاقيات المترتبة عليها أعمال خيرة يعيها كل متأمل متدبر في الحديث .

هذه الأحاديث الشريفة التي أوردتها في الحث على التخلق بالأخلاق الحسنة ما هي الا جزء يسير مما ورد من أحاديث شريفة شتى هي أسس ثابتة تبنى عليها المجتمعات تعاملها بالأخلاق الحميدة .

ولقد ورد في أعمال السلف الصالح وأقوالهم ما يدل على تخلقهم بالأخلاق الحسنة واهتمامهم بها وثمراتها للفرد وللجماعة فراح بعضهم يعرف لنا علامات حسن الخلق .

قال علي رضي الله عنه : (حسن الخلق في ثلاث خصال اجتناب المحارم وطلب الحلال والتوسعة على العيال) .^(١)
وسئل سهل التستري^(٢) عن حسن الخلق فقال : أدناه الاحتمال وترك المكافأة والرحمة للظالم والاستغفار له والشفقة عليه .

وقال يوسف بن اسباط^(٣) : علامة حسن الخلق عشر خصال : قلة الخلاف وحسن الانصاف وترك طلب العثرات وتحسين ما يبدو من السيئات ، واتماس المَعذرة ، واحتمال الأذى والرجوع بالملامة على النفس ، والتفرد بمعرفة عيوب نفسه دون

(١) احياء علوم الدين ج ٣ ص ٥٢ .

(٢) حلية الأولياء ج ١٠ ص ١٩٠ ، الاعلام ج ٣ ص ٢١٠ .

(٣) الجرح والتعديل ج ٤ ص ٢١٨ .

عيوب غيره ، وطلاقة الوجه للصغير والكبير ولطف الكلام لمن دونه
ولمن فوقه .^(١)

وخلاصة ما سبق يمكن أن نلم به فنقول :
إن مظاهر حسن الخلق وتعريفه ككل بأن يكون الفرد باراً رفيقاً
أميناً مؤدياً للفرائض مجتنباً للنواهي صالحاً عفيفاً حليماً ليس بلعان ولا
مغتاب ولا تمام ولا حقود ولا حسود بل محب للخير كثير الحياء
صبور صادق طلق الوجه موصل للرحم أعماله أكثر من أقواله ومن
ثم فهو يحب في الله ويرضى في الله ويبغض في الله ويبغض له ،
فهذه الخصال الوارد ذكرها في الآيات الكريمة والأحاديث مع
بعضها تكوّن لنا حسن الخلق .

(١) الاحياء ج ٣ ص ٦٩ .

الفصل الرابع

الأحاديث الدالة على فضيلة حسن الخلق

لا شك أن الخلق الحسن هو صفة سيد المرسلين ﷺ وسمة عباد الله المتقين وهو من خصال الناس المهديين الصديقين . ولقد نوه الاسلام بالخلق الحسن ودعا إلى تنميته في نفوس المسلمين ، كما أثنى المولى عز وجل على نبيه عليه الصلاة والسلام لحسن خلقه فقال ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(١) فهو ثناء فريد صادر من رب الوجود لرسول عقيدة طاهرة يجد المرء العنصر الأخلاقى بارزاً أصيلاً فيها حيث أنها التي تدعو إلى الصدق والبر والأمانة والنظافة وموافقة النية والضمير للقول والفعل ، وحفظ العهد والعدل والنهي عن الظلم والغش والحد وأكل أموال الناس بالباطل وغير ذلك .

وسئلت السيدة عائشة رضى الله عنها عن خلقه ﷺ فقالت : (كان رسول الله ﷺ خلقه القرآن)^(٢) فسيرته الشخصية تقوم مثلاً حياً وصورة رفيعة وصفحة نقية تستحق ثناء الخالق عز وجل .. وقال عليه الصلاة والسلام عن نفسه «انما بعثت لأتمم مكارم

(١) سورة القلم ٤ .

(٢) مسند أحمد ج ٢ ص ٣٨١ .

الأخلاق»^(١) ومن ثم تأتى أحاديثه ﷺ متتابعة تبين مكانة الأخلاق النبيلة فى الاسلام ، منها ما رواه الترمذى أيضاً عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ « إن من أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وأظلمهم بأهله » .^(٢)

ومنها ما رواه أبوداود فى سنته عن أبى أمامة قال : قال رسول الله ﷺ « أنا زعيم بيت فى ربض الجنة لمن ترك المراء وان كان محققاً ، وبيت فى وسط الجنة لمن ترك الكذب وان كان مازحاً وبيت فى أعلى الجنة لمن حسن خلقه »^(٣) وما أعظمه من أجر لشيء فى مقدور الانسان فعله والتحلّى به والمواظبة عليه . وقال الجنيد :^(٤) أربع ترفع العبد إلى أعلى الدرجات وان قل عمله وعلمه : الحلم والتواضع والسخاء وحسن الخلق .

وقال يحيى بن معاذ^(٥) : فى سعة الأخلاق كنوز الأرزاق .
وقال أنس بن مالك : إن العبد ليلبغ بحسن خلقه أعلى درجة فى الجنة وهو غير عابد ويلبغ بسوء خلقه أسفل درك فى جهنم وهو عابد .

وسئل ابن عباس : ما الكرم ؟ فقال : هو ما بين الله فى كتابه

(١) مسند أحمد ج ٢ ص ٣٨١ .

(٢) رواه الترمذى باب ما جاء فى معالى الأخلاق ج ٣ ص ٢٤٩ .

(٣) رواه الترمذى باب فى استكمال الايمان ج ٤ ص ١٢٢ .

(٤) من العلماء بالدين مولده ووفاته ببغداد ، راجع حلية الأولياء ج ١٠ ص ٢٥٥ ، الاعلام ج ٢ ص ٣٧ .

(٥) واعظ زاهد لم يكن له نظير فى وقته توفى سنة ٢٥٨ . الاعلام ج ٩ ص ٢١٨ ، وفيات الأعيان مجلد ٦ ص ١٦٥ .

العزیز۔ ﴿إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَاكُمْ﴾ - قیل فما الحسب؟
قال : أحسنکم خلقاً وأفضلکم حسباً . وقال : لكل بنیان أساس
وأساس الاسلام حسن الخلق .

الباب الثاني

الصّبر وحقيقته

الفصل الأول : معنى الصبر لغة .

الفصل الثاني : حقيقة الصبر .

الفصل الثالث : عناية القرآن الكريم بفضيلة الصبر .

الفصل الرابع : أسماء الصبر بالإضافة إلى متعلقه .

الفصل الأول

معنى الصبر لغة

أصل الصبر : الحبس والمنع وكل من حبس شيئاً فقد صبره
ومنه قوله تعالى ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ
وَالْعَشِيِّ﴾ (١).

والصبر : نقيض الجزع ومنه قوله تعالى على لسان أهل النار
﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ﴾ (٢).

يقال : صبر الرجل يصبر صبراً فهو صابر وصبار وصبير كأمير
وصبور والأثني صبور أيضاً بغير هاء . والجمع صبر . (٣)

وورد للصبر عدة معان أخرى غير معنى الحبس وهي :
الصبر : بمعنى الثبات قال تعالى ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ﴾ (٤) أى
بالثبات على ما أتم عليه من الإيمان . (٥)

والصبر بمعنى الجراءة قال تعالى ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ (٦)

(١) سورة الكهف الآية ٢٨ .

(٢) سورة ابراهيم الآية .

(٣) تاج العروس ج ٣ ص ٣٢٣ .

(٤) سورة البقرة الآية ٤٥ .

(٥) لسان العرب المجلد الثاني ص ٤٠٤ .

(٦) سورة البقرة الآية ١٧٥ .

أى أجراهم ويقال : ما أعملهم بعمل أهل النار^(١)
وجاء الاصطبار : بمعنى الاقتصاص ومنه قول عثمان رضى الله
عنه حينما عوتب فى ضربه لعمار : هذه يدى لعمار فليصطبر .^(٢)
وتصبر واصطبر : أى جعل له صبيرا .

(١) التكملة والذيل والصلة ج ٣ ص ٦٣ .

(٢) القاموس المحيط ج ٢ ص ٦٧ .

«الفصل الثاني»

حقيقة الصبر

وحقيقة الصبر تكمن في بيان معناه الشرعى :
فالصبر شرعاً : حبس النفس عن الجزع والتسخط وحبس
اللسان عن الشكوى وحبس الجوارح عن التشويش .. (١) وهذا
يصدق إذا حبس العبد نفسه مع الايمان وأركانها الستة من ايمان
بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره .
يقول الغزالي في تعريفه :

الصبر هو : عبارة عن ثبات باعث الدين في مقابلة باعث
الشهوة فالصفة التي فارق الانسان بها البهائم في قمع الشهوات
وقهرها يمكن أن نسميها باعثا دينيا ولنسم مطالبة الشهوات
بمقتضياتها باعث الهوى ، وليفهم أن القتال قائم بين باعث الدين
وباعث الهوى والحرب بينهما سجال ومعركة هذا القتال قلب العبد ،
ومدد باعث الدين من الملائكة الناصرين لحزب الله تعالى ، ومدد
باعث الهوى من الشياطين الناصرين لأعداء الله تعالى .. فان ثبت
باعث الدين حتى قهره واستمر على مخالفة الشهوة فقد نصر حزب

(١) مدارج السالكين لابن القيم ج ٢ ص ١٥٦ .

الله والتحق بالصابرين ، وان تحاذل وضعف حتى غلبته الشهوة ولم يصبر في دفعها التحق بأتباع الشياطين .^(١)

هذا ويزيد الصبر شرفا ان من أسماء الله تعالى الصبور تبارك وتقدس وهو الذى لا يعاجل العصاة بالانتقام وهو من أبنية المبالغة ، ومعناه قريب من معنى الحليم والفرق بينهما أن المذنب لا يأمن العقوبة في صفة الصبور كما يأمنها في صفة الحليم .^(٢)
سئل الجنيد عن الصبر ؟ فقال تجرع المرارة من غير تعبس .^(٣)
بمعنى الصبر على المصيبة فقط .

وقال ذوالنون المصري : الصبر : التباعد من المخالفات والسكون عند تجرع غصص البلية واطهار الغنى مع حلول الفقر بساحات المعيسة .^(٤)

وهذا تعريف غير شامل حيث أنه تضمن قسمين من أقسام الصبر .

وقال عمرو بن عثمان :

هو الثبات مع الله وتلقى بلائه بالرحب والدعة^(٥) . ويمكن أن يكون تعريفه هذا شاملاً لأقسام الصبر إذا اعتبرنا أن الثبات مع الله يعنى الصبر على طاعته والصبر على معصيته .

وقال علي بن أبي طالب رضى الله عنه : الصبر مطية لا تكبو .^(٦) فكأن الصبر مطية العبد التي يسير عليها في الطريق الحق

(١) احياء علوم الدين للغزالي ج ٤ ص ٦٢ .

(٢) لسان العرب المجلد الثانى ص ٤٠٣ .

(٣) ٤ ، ٥ ، ٦ : مدارج السالكين ج ٢ ص ١٥٧ - ١٥٨ .

دون تعثر مادام متمكناً من زمامها محسناً توجيهها .
 مما سبق نرى أن الأقوال اختلفت في تعريف الصبر وبيان ماهيته
 لأن دائرته واسعة ومجالاته متعددة ، ويمكن أن نخرج منها بتعريف
 قد يقارب الصواب - وإن كان تعريف الغزالي أصوب - وهو :
 إن الصبر خلق فاضل من الأخلاق الإسلامية الواجب التحلى
 به يقدم به المرء على فعل الجميل ويمتنع به من فعل ما لا يحسن ولا
 يليق به كمسلم وغرضه من ذلك ابتغاء مرضاة الله ، قال تعالى
 ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾^(١) .

(١) سورة الرعد الآية ٢٢ .

الفصل الثالث

عناية القرآن الكريم والسنة المطهرة بفضيلة الصبر

نلاحظ أن القرآن الكريم عني عناية بالغة بالصبر لما له من قيمة كبيرة دينية وخلقية بل هو ضرورة دينية ودنيوية لازمة للإنسان كي يعيش بسلام فدينه لا ينتصر ودنياه لا تستقيم الا بالصبر.. كما أنه أكثر خلق تكرر ذكره في القرآن العظيم .

كتب العلامة ابن القيم نقلاً عن الامام أحمد قوله : الصبر في القرآن في نحو تسعين موضعاً^(١) . وذكر صاحب قوت القلوب عن بعض العلماء قوله : وأى شيء أفضل من الصبر وقد ذكره الله تعالى في كتابه في نيف وتسعين موضعاً ولا نعلم شيئاً ذكره الله تعالى هذا العدد الا الصبر .^(٢)

ويقول الامام الغزالي : ذكر الله تعالى الصبر في القرآن في نيف وسبعين موضعاً^(٣) ونجد في المعجم المفهرس لألفاظ القرآن مادة (صبر) بكل مشتقاتها قد وردت في القرآن مائة مرة وبضع مرات .^(٤)

(١) مدارج السالكين ج ٢ ص ١٥٢ .

(٢) قوت القلوب ج ١ ص ١٩٧ .

(٣) احياء علوم الدين ج ٤ ص ٦٠ .

(٤) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن ص ٣٩٩ : ٤٠١ .

ويمكن الجمع بين هذه الأقوال بعبارة واحدة : ان كلمة صبر يمكن أن تأتي في موضع واحد مكررة فيحسبها البعض موضعاً واحداً وبحسبها البعض اثنين أو أكثر كما جاء في أواخر سورة النحل ﴿وَأَنْ عَاقِبْتُمْ فَاقْبُوا بِمَثَلِ مَا عَوْقَبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ اذن فحاجة البشر إلى فضيلة الصبر شديدة .

وإذا كان الطالب والزارع والمقاتل والعامل ومحبو المجد وطلاب المعالي عرفوا أن الرفعة في الدنيا كالقوز في الآخرة لا تنال الا بركوب الصعاب واجتياز المشقات والصبر عن كثير مما يحب وعلى كثير مما يكره فالمؤمنون أولى بتلك المعرفة ذلك أنهم أشد تعرضاً للمحن والأذى في أنفسهم وأموالهم وكل نفيس لديهم .. أولى بأن يتخلقوا بخلق كريم ذكره المولى عز وجل في مواضع شتى ترغيباً فيه وحثاً عليه فهو جل وعلا :

١ - قال : ﴿بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ ^(١) .. فذكر هنا أن الصبر شقيق النصر وضمن لأهله المدد والفوز .

٢ - وقال : ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾ ^(٢) وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ وبين هنا أنه يورث صاحب الصبر

(١) سورة آل عمران الآية ١٢٥ .

(٢) سورة السجدة الآية ٢٤ .

درجة الامامة .

٣ - وقال : ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ ^(١) فأخبر جل وعلا عن

محبه لأهل الصبر وفي ذلك أعظم ترغيب للراغبين .

٤ - وقال جل شأنه ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ ^(٢) مخبرا أنه معهم

وهذه المعية معية معنوية ، تشمل هدايتهم ونصرهم وتأيدهم وحفظهم .

٥ - أوجب جل وعلا للصابرين الجزاء الحسن على أعمالهم بل

سيعطيهم أجرهم مرتين بل سيوفى الصابرين أجرهم بغير حساب .

يقول تعالى في الآية السادسة والتسعين من سورة النحل

﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

كما يقول جل شأنه ﴿أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ الْكَسْبَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفقُونَ﴾ ^(٣)

وكما قال تعالى في الآية العاشرة من سورة الزمر : ﴿إِنَّمَا يُوفَى

الصابرون أجرهم بغير حساب﴾ فما من حسنة من الحسنات

ولا قرينة من القربات الا وأجرها بتقدير وحساب الا الصبر

ولأجل كون الصوم من الصبر وأنه نصف الصبر جاء في

(١) سورة آل عمران الآية ١٤٦ .

(٢) سورة الأنفال الآية ٤٦ .

(٣) سورة القصص الآية ٥٤ .

لحديث القدسي (الصيام لي وأنا أجزي به) ^(١) فاضافه إلى نفسه من بين سائر العبادات . ^(٢)

٦ - أوضح المولى عز وجل ما أعدّه للصابرين يوم القيامة من أجر عظيم لا يعلمه الا الله ومن استحقاق دخول الجنة ومن تكريم بتسليم الملائكة عليهم حيث قال وجل وعلا :

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ ^(٣)
كما قال تعالى : ﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ ^(٤)
﴿أُولَئِكَ يَجْزِيهِمُ اللَّهُ بِمَا صَبَرُوا وَيُلْقُونَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا﴾ ^(٥)

كما قال جل وعلا : ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ ^(٦)
وفي ذلك ترغيب في الصبر وحث عليه فالتوفيق في الدنيا والفلح في الآخرة والفوز بالجنة والنجاة من النار وكل خير يحرص الفرد أو الجماعة على حصوله منوط بهذه الفضيلة العظيمة

(١) صحيح البخارى كتاب الصوم باب فضل الصوم وانظر فتح البارى ج ٤ ص ٩١ ،

صحيح مسلم كتاب الصوم بار فضل الصيام ج ٨ ص ٣١ .

(٢) احياء علوم الدين ج ٤ ص ٦٠ مطبعة البانى الحلبي بمصر .

(٣) سورة الأحزاب الآية ٣٥ .

(٤) سورة الانسان الآية ١٢ .

(٥) سورة الفرقان الآية ٧٥ .

(٦) سورة الرعد الآية ٢٤ .

(الصبر)

وكما غنى القرآن الكريم بالصبر هذه العناية الفائقة غنيت السنة النبوية بهذه الفضيلة أيضاً وقد ورد في الصبر وأقسامه والإثابة عليه في الدنيا والآخرة أحاديث كثيرة لا تحصى وإليك بعضاً من هذه الأحاديث :

١ - جاء في صحيح مسلم عن عمر بن كثير بن أفلح قال : سمعت ابن سفيانة يحدث أنه سمع أم سلمة زوج النبي ﷺ تقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «ما من عبد نصيبه مصيبة فيقول إنا لله وإنا إليه راجعون ، اللهم أجرني في مصيبي وأخلف لي خيراً منها ، إلا أجره الله في مصيبته وأخلف له خيراً منها» قالت : فلما توفي أبوسلمة قلت كما أمرني رسول الله ﷺ فأخلف الله لي خيراً منه رسول الله ﷺ . (١)

فهذا الحديث الشريف فيه بيان فضل هذا القول ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾ وفيه الدعاء بطلب الصبر والتعويض خيراً ، فالمرء متى ما صبر على مصيبته وذكر الله ودعاه أعطاه الله جزاء صبره خيراً وعوضه عن همه فرجاً .. وهذه أم سلمة رضي الله عنها حينما صبرت على مصابها بوفاة زوجها رزقها المولى عز وجل خيراً منه وأفضل رسوله ﷺ .

٢ - وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب بن سنان قال : قال رسول الله ﷺ : «عجباً لأمر المؤمن ان أمره كله خير وليس

(١) صحيح مسلم كتاب الجنازات باب ما يقال عند المصيبة ج ١٦ ص ٢٢٠ ، مسند أحمد ج ٤ ص ٢٧ .

ذلك لأحد الا للمؤمن ان أصابته سراء شكر فكان خيرا له وان
أصابته ضراء صبر فكان خيرا له»^(١)

وفى مسند أحمد فى رواية سعد بن أبى وقاص قال : قال
رسول الله ﷺ «عجبت للمؤمن إذا أصابه خير حمد الله وشكر
وان أصابته مصيبة حمد الله وصبر فالمؤمن يؤجر فى كل أمره حتى
يؤجر فى اللقمة يرفعها إلى فى امرأته» ويؤخذ من هذين الحديثين أن
المؤمن الصادق فى إيمانه بالله واليوم الآخر مأجور على جميع أعماله
الخيرية فإذا قدر له الخير والسعادة قدر له العيش الهنىء فعرف حق
نفسه فيه وحق غيره عليه وحمد الله وشكره أثابه الكريم العظيم على
شكره وعدم جوده نعمته .. وإذا قدر له التقدير فى الرزق
والتنغيص فى العيش .. قدرت له المصائب والعظام فحمد الله
واسترجعه وصبر على ما قدر له كان فى ذلك أيضاً خيراً له حيث ينال
ثواب صبره وإيمانه بالقدر خيره وشره حتى أنه ليؤجر فى اللقمة التى
يسعى لجلبها لزوجته وأسرته ...

٣- وروى البخارى عن عطاء بن يزيد الليثى أن أبا سعيد أخبره
أن ناساً من الأنصار سألوا رسول الله ﷺ فلم يسأله أحد منهم الا
أعطاه حتى نفذ ما عنده فقال لهم حين نفذ كل شىء أنفق بيديه «ما
يكون عندى من خير لا أدخره عنكم وانه من يستعفف يعفه الله
ومن يتصبر يصبره الله ومن يستغن يغنه الله ولن تعطوا عطاء خيراً

(١) صحيح مسلم ج ١٨ ص ١٢٥ فى باب احاديث متفرقة . مسند أحمد ج ١ ص
١٧٣ .

وأوسع من الصبر» .^(١)

ففي هذا الحديث الشريف حث على القناعة والاستغناء عن الناس والتعفف عن سؤالهم بالصبر والتوكل على الله وطلب رزقه هو وفيه بيان بأن الصبر أفضل ما يعطاه الانسان من خير لكون الجزاء عليه غير محدود فهؤلاء الجماعة من الأنصار أتوا إليه ﷺ ليسألوه فأعطاهم ثم سألوه مرة أخرى فأعطاهم حتى نفذ ما عنده - كما في رواية مسلم - وعند ذلك قال لهم : ما يكون عندي من خير فلن أحجبه عنكم لغيركم ولكن هناك قاعدة عظيمة ينبغي الالتفات إليها ألا وهي : أن من يستعفف عن سؤال الناس ويستغنى عنهم ويحاول أن يصبر نفسه ويقنعها بما كسبت وحصلت فإله معينه في ذلك . وأفضل من ذلك كله الصبر فهو خير عطاء وأوسع عطاء يعطاه الانسان من مولاته .

٤ - وجاء في صحيح البخارى عن أبى سعيد الخدرى وعن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال (ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله بها من خطاياها) .^(٢)

(١) صحيح البخارى - كتاب الرقاق باب الصبر عن محارم الله ، وانظر فتح البارى ج ١١ ص ٢٦٠ .

(٢) صحيح البخارى كتاب المرضى - باب ما جاء في كفارة المرض ، وانظر فتح البارى ج ١٠ ص ٩١ وفيه نصب : هو التعب - وصب : أى مرض وقيل هو المرض اللازم لهم والحزن هو من أمراض الباطن لذا ساء عطفها على الوصب ، الأذى : قيل هو ما يلحق الشخص من تعدى غيره عليه - الغم هو أيضاً من أمراض الباطن لذا ساء عطفها على الوصب ، الأذى : قيل هو ما يلحق الشخص من تعدى غيره عليه - الغم هو أيضاً من أمراض الباطن وهو ما يضيق على القلب .

يبين ﷺ في هذا الحديث الشريف جزاء الصبر على الشدائد
وبحث على تقبل الابتلاء بها واحتمالها .. والجزاء هنا تكفير الخطايا
والذنوب وهو ثواب عظيم لا يتاله كل من أصيب بتعب أو إرهاق أو
مرض مزمن أو حالات نفسية أو جسدية هكذا دون صبر أو معاناة
أو رضا بالقدر فالصبر إذن ضرورة - خاصة - للمؤمنين تحقيقاً لقوله
تعالى ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابُوا مَكْرَهًا أَوْ ضَرْبًا أَقْبَلُوهُ بِسَبْرٍ وَهُمْ لَا
يَسْرِفُونَ﴾ (١) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا
وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (٢) الذين صدقوا أى فى إيمانهم بالله وإيمانهم
بالقدر خيره وشره - لذا قال عليه الصلاة والسلام : «حتى الشوكة
يشاكها» فسواء دخلت فى جسد الانسان بنفسها أو أدخلها أحد
فصبر على ما يجده من ألها : وسواء كان المقصود بها شوكة حقيقية
مادية أو معنوية من إساءة رئيس أو غيره فصبر على ما سببته له من
أذى الا كفر الله بها خطاياها .. وأى منا لا يجب أن تكفر
خطاياها ؟ ..

(١) سورة العنكبوت الآيات : ١ - ٣ .

الفصل الرابع أسماء الصبر بالاضافة إلى متعلقه

اختلفت أسماء الصبر بالاضافة إلى متعلقه ^(١) وأصبحت عديدة متنوعة يقول الغزالي :

إن كان صبرا على احتمال المكروه اختلفت أساميها عند الناس باختلاف المكروه الذي غلب عليه الصبر :

١ - فإن كان في مصيبة اقتصر على اسم (الصبر) وتضاده حالة تسمى (الجزع والهلع) وهو اطلاق داعي الهوى ليسترسل في رفع الصوت وضرب الحدود وشق الجيوب وغيرها مما نهى عنه المصطفى ﷺ «ليس منا من ضرب الحدود وشق الجيوب» ^(٢)

٢ - وإن كان في احتمال الغنى سمي (ضبط نفس) وتضاده حالة تسمى (البطر) وهي عدم القيام بموجبات النعمة بأن يكفر بها ولا يشكر وضبط النفس ترشد إليها الآية الكريمة ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ ^(٣)

(١) أى المصبور عنه .

(٢) صحيح البخارى كتاب الجنائز باب ليس منا من شق الجيوب وانظر فتح البارى ج ٣ ص ١٣١ .

(٣) سورة الاسراء الآية ٢٩ .

٣ - وإن كان في حرب ومقاتلة سمي (شجاعة) وضدها (الجبن) الذي هو الاحجام حيث ينبغي الاقدام .

٤ - وإن كان صبرا عن شهوة البطن والفرج سمي (عفة) ^(١) .

وفرق ابن القيم بينهما فقال : إن كان صبرا عن شهوة الفرج المحرمة سمي (عفة) وضدها (الفجور والزنا) الذي بينت سببه امرأة العزيز في قوله تعالى ﴿قَالَتْ أَمْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَأَوْتُهُ عَنِ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ * ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ * وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ^(٢) والذي نهى عنه القرآن الكريم ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ ^(٣) .

٥ - وإن كان صبرا عن شهوة البطن وعدم التسرع إلى الطعام أو تناول ما لا يحمل منه سمي (شرف نفس وشع نفس) وسمي ضده (شرها ودناءة ووضاعة نفس) ^(٤) . . لذا روى الترمذی عن النبي ﷺ قوله «ما ملأ ابن آدم وعاء قط شراً من بطنه بحسب ابن آدم أكالات يقمن صلبه ، فان كان لا محالة فثلاث لطعامه وثلاث لشرابه وثلاث لنفسه» ^(٥) .

وتفرقة ابن القيم أفضل حيث وضع لها أضدادا وإن كان تعريف

(١) احياء علوم الدين للغزالي ج ٤ ص ٦٥ .

(٢) سورة يوسف الآيات ٥١ - ٥٣ .

(٣) سورة الاسراء الآية ٣٢ .

(٤) عنده الصابرين ص ١١ .

(٥) رواه الترمذی باب ما جاء في كراهية كثرة الأكل ج ٤ ص ١٨ .

الغزالي أجمل .

وقال ابن القيم أيضاً :

وان كان صبرا عن اظهار ما لا يحسن اظهاره من الكلام سمى
(كتبان سر) وضده (اذاعة وافشاء أو تهمة أو فحشاء أو سبا أو كذبا
أو قذفا) وغير ذلك مما حذر منه المصطفى ﷺ (إياكم والكذب
فان الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار) ^(١)
(ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء) ^(٢)
وإن كان صبرا عن اجابة داعي الانتقام سمى (عفواً وصفحاً)
وضده (انتقاما وعقوبة) .. وذلك العفو والصفح حث عليه الاسلام
وذكر جزاءه في كثير من الآيات الكريمة منها : قوله تعالى :

﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ
لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ ^(٣) وقوله تعالى ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن
رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ
يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ
وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ ^(٤)

٦ - وإن كان صبراً عن اجابة داعي العجلة سمى (وقارا وثباتا)
وضده (طيشا وخفة) .

٧ - وإن كان عن اجابة داعي الامساك والبخل سمى (جوداً)

(١) البخارى كتاب الأدب باب قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله﴾ وانظر فتح

البارى م ٤٢٣ ج ١٠ .

(٢) الترمذى باب ما جاء في اللعنة ج ٣ ص ٢٣٦ .

(٣) سورة الشورى الآية ٤٠ .

(٤) سورة آل عمران الآيات ١٣٣ - ١٣٤ .

وضده (بخلاً وشحاً) ^(١) يقول ﷺ (خصلتان لا تجتمعان في مؤمن : البخل ، وسوء الخلق) ^(٢) .

٨ - وقال الغزالي في بيانه لأسماء الصبر : وإن كان صبراً عن فضول العيش سمي (زهداً) ويضاده (الحرص) .

٩ - وإن كان صبراً على قدر يسير من الحظوظ سمي (قناعة) يؤيد

ذلك قوله ﷺ (ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس) ^(٣) نعم إن الغنى ليس بكثرة المال ولا كثرة المتاع

ولكن الغنى الحقيقي هو غنى النفس عما في أيدي الناس .. هو رضاها بما قسم الله لها من رزق وقناعتها بذلك .. هو عدم

حرصها على المال وإعراضها عن سؤال الناس أى حاجة منها كانت وبذلك تكون نفساً عظيمة عزيزة مدركة أن وراء الغنى

أو الفقر حكمة عظيمة .. وصدق الله العظيم إذ يقول ﴿يُخْسِبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَيْنَ * نُسَارِعُ لَهُمْ فِي

الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ^(٤) ويضاد القناعة (الشرة) .

ثم قال : فاذن هذه أقسام الصبر باختلاف متعلقاتها ومن

يأخذ المعاني من الاسامي يظن أن هذه الأحوال مختلفة في

ذواتها وحقائقها من حيث رأى الاسامي مختلفة والذي

يسلك الطريق المستقيم وينظر بنور الله يلحظ المعاني أولاً

(١) عدة الصابرين لابن القيم ص ١١ .

(٢) الترمذي ج ٣ ص ٢٣١ وجاء في الجامع الصغير انه صحيح ج ٢ ص ٤٠ .

(٣) البخارى كتاب الرقاق باب الغنى غنى النفس وانظر فتح البارى ج ١١ ص ٢٣١ .

(٤) سورة المؤمنون الآية ٥٥ .

فيطلع على حقائقها ثم يلاحظ الاسامى فانها وضعت دالة على المعانى فالمعانى هى الأصول والألفاظ هى التوابع ومن يطلب الأصول من التوابع لا بد أن يزل .^(١)

وهذا قول نفيس وتحقيق جليل يدلنا على ارتباط كثير من مقامات الدين بالصبر فالصبر هنا يحمل فى طياته مجموعة من شعب الإيمان الحميدة وأخلاق الإسلام الفاضلة .

(١) احياء علوم الدين للغزالي ج ٤ ص ٦٥ . ٦٦ .

الباب الثالث

أقسام الصّبر

الفصل الأول : أقسام الصبر بحسب اختلاف قوته وضعفه .

الفصل الثاني : أقسام الصبر باعتبار تعلق الأحكام الخمسة به .

الفصل الثالث : أقسام الصبر باعتبار محله .

الفصل الأول

أقسام الصبر بحسب اختلاف قوته وضعفه

«الفصل الأول»

أقسام الصبر بحسب اختلاف قوته وضعفه

نعلم أن في نفس المرء دافعين : دافعا يدفعه نحو الخير ودافعا يدفعه نحو الشر .. دافعا ينحوبه جهة الحق والآخر يأخذه للباطل .. باعثا يجعله عادلا وباعثا يصيره ظلما ، باعثا في نفسه يحركه لاتباع تعاليم دينه ، وباعثا يثيره لاتباع أهوائه وشهواته .. وهذان الباعثان لهما ثلاثة أحوال كما يقول الغزالي .

الحالة الأولى :

أن ينتصر باعث الدين على داعي الهوى بحيث لا تبقى لداعي الهوى قوة للمنازعة وتكون الغلبة والفوز لداعي الدين .. وهذا يحصل بدوام الصبر .. ولا يصل إلى هذه المرتبة الا الذين كتب الله لهم النصر في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، الذين لازموا الطريق المستقيم .. وهم القليل من الناس فلا ريب أن يكونوا الصديقين المقربين الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا^(١) والذين تنادى بهم الملائكة عند الموت ﴿لَا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أُولَآئِكَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾^(٢)

(١) احياء علوم الدين ج ٤ ص ٦٦ .

(٢) سورة فصلت الآية ٣٠ .

الحالة الثانية :

ان تكون القوة والغلبة لداعى الهوى حيث يسقط داعى الدين ويستسلم لإغواء الشياطين .. وأصحاب هذه الحالة هم الغافلون وهم الأكثرون الذين أصبحوا عبيد شهواتهم وغلبت عليهم شقوتهم وتمكنت الشياطين من قلوبهم التى هى سر من أسرار الله فاشتروا لذلك الحياة الدنيا^(١) بالآخرة ، وبين ابن القيم أن أصحاب هذه الحال أنواع شتى ، فمنهم المحارب لله ورسوله ، الساعى فى ابطال ما جاء به الرسول يصد عن سبيل الله ويبغيها جهده عوجاً وتحريفاً ليصد الناس عنها .

ومنهم المعرض عما جاء به الرسول المقبل على دنياه وشهواتها فقط . ومنهم المنافق ذو الوجهين ، الذى يأكل بالكفر والاسلام . ومنهم الماجن المتلاعب الذى قطع أنفاسه بالمجون واللهو واللعب . ومنهم من اذا وعظ قال واشوقاه إلى التوبة ولكنها قد تعذرت على فلا مطمع لى فيها .

ومنهم من يقول : ليس الله محتاجاً إلى صلاتى وصيامى وأنا لا أنجو بعملى والله غفور رحيم .

ومنهم من يقول ترك المعاصى استهانة بعفو الله ومغفرته . ومنهم من يقول : ماذا تقع طاعتي فى جنب ما قد عملت . وما ينفع الغريق خلاص أصبعه وباقى بدنه غريق .^(٢) يقول ذلك متناسياً قوله جل وعلا ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ

(١) احياء علوم الدين ج ٤ ص ٦٦ .

(٢) عدة الصابرين ص ١٦ .

لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ
الْكَرِيمُ^(١) . إلى غير ذلك من أصناف المغترين الذين تسلطت
شهواتهم على عقولهم ... فكأن الواحد منهم جعل عقله مع
الشیطان دائماً وأبداً يفعل به ما يشاء كالأسير المسلم في يد كافر
يستعمله في رعاية الخنازير وعصر الخمر وحمل الصليب .. وهم إنما
صاروا إلى ما صاروا إليه نتيجة افلاسهم من الصبر .

الحالة الثالثة :

أن تكون الغلبة والقوة تارة لداعى الدين وتارة لداعى الهوى
فهى متأرجحة بينهما فاذا ضعف داعى الهوى كان النصر والغلبة
لداعى الدين والعكس بالعكس .. وأصحاب هذه الحالة طائفة
ضعفت غريزتهم الدينية فلم تؤد وظيفتها كاملة .. وهى حال أكثر
المؤمنين الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب
عليهم .

وذكر الغزالي أن قوله تعالى ﴿وَأَخْرَجُوا عَنْكُمْ أَزْوَاجَهُمْ خَلْطُوا
عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا...﴾^(٢) نزل على من عجز عن بعض
الشهوات دون بعض - وهذا ما فسر به ابن كثير الآية -^(٣) وقال
أيضاً : والتاركون للمجاهدة مع الشهوات مطلقاً يشبهون بالانعام
بل هم أضل سبيلاً إذ البهيمة لم تخلق لها المعرفة والقدرة التى بها

(١) سورة الزمر الآية ٥٣ .

(٢) سورة التوبة الآية ١٠٢ .

(٣) ابن كثير ج ٢ ص ٣٨٥ قال : هذه الآية وإن كانت نزلت فى أناس معينين إلا أنها
عامة فى كل المذنبين الخاطئين المثلوثين .

تجاهد مقتضى الشهوات وهذا قد خلق ذلك له وعطله فهو الناقص
حقاً المدبر يقيناً ولذلك قيل :

ولم أر في عيوب الناس عيباً كتنقص القادرين على التمام^(١)
فكأنه يبحث على مجاهدة الشهوات ويغرس في النفوس حب
الأعمال الصالحة بقدر الإمكان عسى الله أن يعفو عما سلف .
وهذه الأحوال الثلاث هي أحوال الناس في الصحة والمرض
فمن الناس من تقاوم صحته الداء فتقهره ومنهم من تهاوى وتضعف
قوته أمام المرض ويكون للمرض عليه سلطان ومنهم من تتناوبه
الصحة والمرض .

وربما كان هذا التقسيم للصبر موازياً للحال يوم القيامة سواء
بسواء فمن الناس من يدخل الجنة ولا يدخل النار ومنهم من يدخل
النار ثم يدخل الجنة والله أعلم .

(١) احياء علوم الدين للغزالي ج ٤ ص ٦٧ .

الفصل الثانى

أقسام الصبر باعتبار تعلق الأحكام الخمسة به

- ☐ الصبر الواجب .
- ☐ الصبر المندوب .
- ☐ الصبر المباح .
- ☐ الصبر المكروه .
- ☐ الصبر المحظور .

الفصل الثانى

أقسام الصبر باعتبار تعلق الأحكام الخمسة به

- ☐ الصبر الواجب .
- ☐ الصبر المندوب .
- ☐ الصبر المباح .
- ☐ الصبر المكروه .
- ☐ الصبر المحظور .

وأيضاً قوله تعالى ﴿وَلَمَنَ أَنْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِّنْ سَبِيلٍ * إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (١) .. فالنفس الانسانية لا تحب أن تهضم حقوقها أو أن تظلم خاصة وأن التشريع الرباني أباح لها الانتصار في الظلم وأجاز لها مقابلة السيئة بالسيئة والعقاب بالعقاب بشرط دون زيادة أو ظلم سواء في الكم أو الكيف فلا يحق للمرء أن يرد الصاع صاعين أو اللطمة لطمتين بل المطلوب من المسلم والأجدر فعله أن يكظم غيظه ويصبر على الأذى ويستر السيئة ويعفو عن صاحبها ليكون أجره على الله ولينال الثواب الجزيل والثناء الجميل على أفعاله الحميدة كما ذكر ذلك ابن كثير في تفسيره . (٢)

ومثال الصبر على المستحبات : أن ينوى المرء قيام الليل واحياء في صلاة ودعاء وذكر وتسييح وتهليل فقد يجد صعوبة في بداية الأمر نتيجة هجره لذيق المنام وحلاوة الأحلام فعليه أن يصبر ويتحمل ذلك حتى يألف القيام ويتعوده .. وقد يتعود المسلم القيام ولكنه ما يلبث أن يوسوس له الشيطان ويحثه على الترك ويحبب له النوم فعليه هنا أن يجاهده ويدفع باعث الهوى عنه بشتى الطرق كي يثبت على ما نواه من طاعة وصبره هنا مندوب مستحب يثاب عليه لأنه مما طلب فعله شرعاً من غير ذم على تركه مطلقاً .
ومثاله أيضاً الصبر على ما يجده المرء فيما نوى صيامه تطوعاً

(١) سورة الشورى الآيات ٤١ - ٤٣ .

(٢) تفسير ابن كثير ج ٤ ص ١١٩

الفصل الثانى

أقسام الصبر باعتبار تعلق الأحكام الخمسة به

- ☐ الصبر الواجب .
- ☐ الصبر المندوب .
- ☐ الصبر المباح .
- ☐ الصبر المكروه .
- ☐ الصبر المحظور .

أكره ريحها^(١) وقوله لمن قرب له طعاما فيه من تلك البقول الشئ الكثير (كل فإنى أناجى من لا تناجى)^(٢) وغير ذلك من الأحاديث .. وعليه يكون نهى آكل البصل والثوم عن دخول المساجد مكروهاً ، فإذا ما صبر المرء عنهما مع رغبة فيهما امتثالاً لنهيه ﷺ اعتبر صبره ذاك مندوباً .

الصبر المباح :

وهو الصبر عن كل فعل مستوى الطرفين خير بين فعله وتركه . والصبر عليه .. ومن أمثله الرغبة في القيام بترهة أو الصبر عنها أو الرغبة في تناول نوع معين من الأطعمة أو الصبر عنها فالنفس دائماً الشهوة وتحب أن تطاع وتلبى رغباتها - بشرط الا يقصد بها تحريم ما أحل الله والا كان آثماً - فمثلاً لا مانع من التفكير في تناول تفاحة فإذا ما تناولها المرء أو صرف النظر عن تناولها فالأمر سيان ، فكأن الصبر المباح نوع من الالتزام يحاول به المرء أن يروض نفسه ويسوسها على أساس عدم تلبية حاجاتها جميعاً وباستمرار .

الصبر المكروه :

وله عدة أمثلة توضحه .

أحدها :

أن يصبر عن التوسع في الطعام والشراب واللباس ومعاشرة أهله حتى يتضرر بذلك بدنه .. وهذا عكس ما ذكره المولى عز وجل في

(١ ، ٢) صحيح مسلم كتاب المساجد باب نهى آكل البصل عن دخول المسجد ص ٥٠ ، ٥١ ج ٥ .

قوله تعالى ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾^(١)

الثاني :

صبره عن معاشره زوجته إذا احتاجت إلى ذلك ولم يتضرر به لأن في ذلك الحاق الضرر بالزوجة ولأنه يمتنع عن حق من حقوقها الزوجية بينما الاسلام يحثه على مراعاتها واحسان عشرتها وكرم مخالطتها واعطائها حقوقها كاملة ..

يقول تعالى ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾^(٢) وذلك ليستقيم نظام الأسرة ويصلح أمره ويدوم الارتباط الزوجي المقدس .

الثالث :

صبره على المكروه كرؤيته للمفرق أصابعه في الصلاة وسكوته عنه وعدم نبيه عن ذلك مع علمه بكون فرقة الأصابع من مكروهات الصلاة^(٣) لقوله ﷺ (لا تفقع أصابعك في الصلاة)^(٤)

الرابع :

صبره عن فعل المستحب كأن يتعود المرء اعطاء أحد المحتاجين شيئاً بسيطاً من المال أو غيره كل أسبوع أو كل شهر .. وفجأة يقطع عنه ذلك بدون عذر أو ضرورة ملحة فانقطاعه عن عطائه ذاك مكروهاً ، أو كأن يكون مداوماً على تأدية صلاة الضحى وفجأة

٦٠١

(١) البقرة (١٩٥) ذكر ابن كثير أنها نزلت في النفقة وهي تقتضى ما سبق ج ١ ص ٢٢٨ .

(٢) سورة النساء الآية ١٩ .

(٣) الروض المربع ص ٦٨ .

(٤) ابن ماجة كتاب الصلاة باب ما يكره في الصلاة ج ١ ص ٣١٠ .

ينقطع عنها فلا يؤديها بدون مبرر أو عذر متغافلاً عن قوله ﷺ
(أحب الأعمال إلى الله تعالى أدومها وإن قل) ^(١).

الصبر المحذور :

ويقول فيه ابن القيم : وأما الصبر المحذور فأنواع : أحدها الصبر
عن الطعام والشراب حتى يموت بمعنى أن يمسك عن الطعام
والشراب نفسه حتى تهلك سواء كان الحصول عليه متيسراً أو يحتاج
إلى بذل قليل من المجهود .

وكذلك الصبر عن الميتة والدم ولحم الخنزير عند الخمصة حرام
إذا خاف بتركه الموت ^(٢) .. فهذه المحرمات إنما أباحها المولى عز
وجل عند الاحتياج والاضطرار إليها .. والاضطرار لا يخلو أن يكون
بإكراه من ظالم أو بجوع في مخمصة والذي عليه الجمهور من الفقهاء
والعلماء في معنى الآية هو من يصبره العدم والغرث وهو الجوع إلى
ذلك وهو الصحيح ^(٣) . فإذا ما صبر عن أكل الميتة عند الخمصة
مع خوفه الشديد على نفسه من الهلاك اعتبر صبره ذلك محرماً .
وروى ابن كثير عن مسروق أنه قال : من اضطر فلم يأكل ولم
يشرب ثم مات دخل النار . ^(٤)

ومن الصبر المحذور صبر الإنسان على ما يقصد هلاكه من سبع
أو حيات أو حريق أو ماء أو كافر يريد قتله ^(٥) وعدم محاولته النجاة

(١) مسلم كتاب المسافرين باب فضيلة العمل الدائم ج ٦ ص ٧٢ .

(٢) عدة الصابرين ص ٢٢ .

(٣) القرطبي ج ١ ص ٦٠٣ .

(٤) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٢٠٦ .

(٥) عدة الصابرين ص ٢٢ .

وابعاد الأذى عن نفسه .

وكتب صاحب قوت القلوب هذه العبارات «ان الصبر فرض وفضل يعرف ذلك بمعرفة الأحكام فما كان أمراً أو إيجاباً فالصبر عليه أو عنه فرض وما كان حقاً وندباً فالصبر عليه أو عنه فضل^(١) ولكن الامام الغزالي فصل ذلك فقال :

إعلم أن الصبر ينقسم - باعتبار حكمه - إلى فرض ونفل ومكروه ومحرم فالصبر عن المحظورات فرض وعلى المكروه نفل والصبر على الأذى المحظور كمن تقطع يده أو يد ولده وهو يصبر عليه ساكناً وكمن يقصد حرمة بشهوة محظورة فتتهيج غيرته فيصبر عن اظهار الغيرة ويسكت على ما يجرى على أهله فهذا الصبر محرم . والصبر المكروه هو الصبر على أذى يتاله بجهة مكروهة في الشرع . فليكن الشرع محك الصبر . فكون الصبر نصف الايمان لا ينبغي أن يخيل إليك أن جميعه محمود ، بل المراد به أنواع من الصبر مخصوصة .^(٢)

ويقول ابن القيم :

وبالجملة فالصبر على الواجب واجب وعن الواجب حرام ، والصبر عن الحرام واجب وعليه حرام ، والصبر على المستحب مستحب وعنه مكروه ، والصبر عن المكروه مستحب وعليه مكروه والصبر عن المباح مباح^(٣) والله أعلم .

(١) قوت القلوب ج ١ ص ١٩٩ .

(٢) احياء علوم الدين ج ٤ ص ٦٧ .

(٣) عدة الصابرين ص ٢٣ .

الفصل الثالث

أقسام الصبر باعتبار محله

- ☐ البدني الاختياري .
- ☐ البدني الاضطراري .
- ☐ النفساني الاختياري .
- ☐ النفساني الاضطراري .

أقسام الصبر باعتبار محله

الصبر ضربان : ضرب بدنى ، وضرب نفسانى .
وكل منهما نوعان : اختياري ، واضطرارى .. فهذه أربعة أقسام : (١)

الأول : البدنى الاختياري :

كتعاطى الأعمال الشاقة على البدن اختيارا واردة فمن اختار عملا اداريا ليس كمن اختار مهنة صعبة كالحدادة والنجارة والبناء .. فالأجير العامل مثلاً يجد من المشقات ما لا يجده أى موظف ادارى من حمل للأثقال وتعرض لحرارة الشمس ، وخطر يعرض حياته للهلاك بالاضافة إلى قلة دخله إذا ما قورن براتب الموظف ، ورغم ذلك نراه يمارس عمله بصبر اختياري ويقدر جهده البدنى .

الثانى : البدنى الاضطرارى :

كالصبر على ألم الضرب والمرض والجراحات والبرد والحر وغير ذلك .. مما كان يتحمله كثير من المسلمين - فى صدر الاسلام - ويجدون آلامه صاغرين .. فبلال مثلاً كان يطرح على ظهره فى

(١) عدة الصابرين الصابرين لابن القيم ص ١٣ .

بطحاء مكة الملتبهة إذا حميت الظهيرة واشتدت حرارة الشمس
ومن ثم يؤمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره وهو لا يزيد على
قوله : أَحَدٌ .. أَحَدٌ . (١)

وعمار بن ياسر الذى تفنن المشركون فى ايدائه وضربه وتعذيبه من
كفى بالنار إلى صلبه على الرمضاء الحارة إلى اغراقه بالماء حتى تحتق
أنفاسه وتتسلخ قروحه وجروحه .. ومع ذلك كان صابرا ومضطرا
لتحمل ذلك التعذيب الجسدى فى سبيل ثباته على عقيدته
وإيمانه .. ولأن السلطان والقوة والغلبة كانت يومئذ لأنصار الضلال
والشرك .

وتلك المرأة التى كانت تصرع (٢) زمن النبى ﷺ فعن عطاء بن
أبى رباح قال : قال لى ابن عباس : (ألا أريك امرأة من أهل الجنة
قلت : بلى ، قال : هذه المرأة السوداء أتت النبى ﷺ قالت :
إنى أصرع وإنى أتكشف (٢) فادع الله لى قال : إن شئت صبرت
ولك الجنة وإن شئت دعوت الله أن يعافيك فقالت أصبر فقالت
أنى أتكشف فادع الله لى أن لا أتكشف فدعا لها (٣) .

ولا يخفى أن المرء - بصفة عامة - قد يتعرض لمرض مزمن -
والعياذ بالله - أو ما ينتج عن حوادث الحريق أو الهدم أو اصطدام

(١) قصة بلال مؤذن الرسول لعبد الحميد جودة السحار ص ٢٩ .

(٢) الصرع : علة تمنع الأعضاء النفسية من أفعالها متعاً غير تام وسببه سدة تعرض فى
بعض بطون الدماغ وفى مجارى الأعصاب الحركة للأعضاء من خلط غليظ أو لرج
كثير فتمنع الروح عن السلوكاتها سلوكاً طبيعياً فتشجع الأعضاء .
القاموس المحيط ج ٣ ص ٤٩ .

(٣) صحيح البخارى كتاب المرضى باب فضل من يصرع من الريح ، وانظر فتح البارى
ج ١٠ ص ٩٩ ، ومسنده أحمد ج ١٠ ص ٣٤٧ .

السيارات كفققد عضو من أعضائه أو حدوث كسر فيها أو إصابته بتشويه خلقي ... فإذا تحلى ذلك الشخص بالصبر على ما يجده من آلام جسدية فإنه سينال به درجة عالية من الثواب المعد للصابرين بإذن الله .

الثالث : النفساني الاختياري :

كصبر النفس عن فعل ما لا يحسن فعله شرعاً ولا عقلاً كالتفكير في سرقة ما وهبه الله لبعض الناس أو ما جمعه الغير وتحصل عليه بكد وتعب وصرف النظر عن ذلك .. فمن الناحية العقلية الانسانية تعتبر السرقة عملاً فظيماً لما فيه من اقتطاع ما في حوزة الغير من متاع أو مال أو غيره بغير حق « ومن الناحية الشرعية تعتبر السرقة من الجرائم التي تستحق إقامة الحد بقطع اليد إذا تحققت السرقة بتعريفها الشرعي .. ويقاس على ذلك التفكير في شرب الخمر والتفكير في الزنا والعدول عنه وحبس النفس عن تحقيقه ... وغير ذلك مما تأمر به النفس الأمارة بالسوء من أمور لا يرضاهها الشرع ولا يستسيغها العقل .

الرابع : النفساني الاضطراري :

كصبر النفس عن محبوبها قهراً إذا حيل بينها وبينه بالموت مثلاً الذي هو حق على كل انسان ، أو بثبوت جميع الأدلة ضد شخص برىء يؤخذ فيحبس ويحال بينه وبين والدته مثلاً والذي هو بالنسبة لها جميع أهلها وذويها عدا كونه العائل لها الراعى لشئونها ، أو بإسلام المرء الذي يترك أمه وزوجته وأولاده وأمواله ويصبر على

فراقهم كما حدث لصهيب بن سنان حينما أراد الهجرة مع الرسول ﷺ فأخره عنه وقوعه في بعض فخاخ المشركين ولما تخلص منها وانطلق يريد اللحاق به أدركته طائفه من رجال قريش واعتصمت طريقه فدلهم على المكان الذي خبأ فيه جميع ثروته فتركوه وشأنه .
 أجل .. لقد اشترى صهيب نفسه المؤمنة بكل ثروته التي أنفق كل شبابه في جمعها .. واستطاع أن يصبر عن محبوب الانسان بصفة عامة ألا وهو المال .

وما المال ؟ وما الذهب ؟ وما الدنيا ؟ إذا بقي له ايمانه وإذا بقيت لضميره سيادته ولمصيره ارادته ؟ (١)

وكما حدث لنوح عليه السلام حيث صبر على فراق ابنه - الذي هلك بالغرق مع الكافرين - حينما عاتبه المولى عز وجل ﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تُسْأَلَنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (٢) وما كان من نوح عليه السلام الا أن ندم على ما صدر منه - من جزع على فراق ابنه واعترف بذنبه . (٣)

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٤)

وذكر ابن القيم أن هذه الأقسام من الصبر مختصة بنوع الانسان دون البهائم ومشاركة للبهائم في نوعين منها وهما صبر البدن والنفس

(١) رجال حول الرسول - خالد محمد خالد ص ١٦٧ .

(٢) سورة هود آية ٤٦ .

(٣) مع الأنبياء - لعفيف طبارة ص ٧١ .

(٤) سورة هود آية ٤٧ .

الاضطرابين وقد يكون بعضها أقوى صبرا من الانسان ، وإنما يتميز الانسان عنها بالنوعين الاختياريين ، وكثير من الناس تكون قوة صبره في النوع الذى يشارك فيه البهائم لا في النوع الذى يخص الانسان فيعد صابرا وليس من الصابرين ..

وذكر ابن القيم مشاركة الجن للانسان في هذا الصبر وقال هذا من لوازم التكليف وهو مظنة الأمر والنهى ، والجن مكلفون بالصبر على الأوامر والصبر عن النواهي كما كلفنا نحن بذلك ^(١) ويؤيده قوله تعالى ﴿وَأَنْ لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِينَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ ^(٢) فقد جاء في تفسير هذه الآية قولان : أحدهما وان لو استقام القاسطون على طريقة الاسلام وعدلوا إليها واستمروا عليها - والاستمرار يعنى الصبر عليها والاقتناع بها - لأوسعنا عليهم في الرزق .. وهذا الذى رجحه ابن كثير ^(٣) ويوافقنا في هذا الموضع .

وكانت لابن القيم وجهة نظر مقبولة بالنسبة لصبر الملائكة حيث قال : الملائكة لم يتلوا بهوى يحارب عقولهم ومعارفهم بل العبادة والطاعة لهم كالنفس لنا فلا يتصور فى حقهم الصبر الذى حقيقته : ثبات باعث الدين والعقل فى مقابلة باعث الشهوة والهوى ، وان كان لهم صبر يلىق بهم وهو ثباتهم واقامتهم على ما خلقوا له من غير منازعة هوى أو شهوة أو طبع . ^(٤)

(١) عدة الصابرين ص ١٤ .

(٢) سورة الجن آية ١٦ .

(٣) تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٤٣١ .

(٤) عدة الصابرين ص ١٤ .

وعقب بقوله : فالانسان منا إذا غلب صبره باعث الهوى
والشهوة التحق بالملائكة وإن غلب باعث الهوى والشهوة صبره
التحق بالشياطين وإن غلب باعث طبعه من الأكل والشرب والجماع
صبره التحق بالبهائم .

البَابُ الرَّابِعُ

أنواع الصّبر

- ☐ الفصل الأول : أنواع الصبر.
- ☐ الفصل الثاني : الأسباب التي تعين على الصبر.
- ☐ الفصل الثالث : الأمور المضادة للصبر.
- ☐ الفصل الرابع : تداخل حقيقة الصبر بحقيقة الشكر.

الفصل الأول

أنواع الصبر

- ☐ الصبر على الطاعات وأداء الواجبات .
- ☐ الصبر على المعاصي .
- ☐ الصبر على المصائب والبليات .

أنواع الصبر

سبق في أقسام الصبر باعتبار تعلق الأحكام الخمسة به أن الصبر
الواجب ثلاثة أنواع هي :

١ - صبر على الطاعات وأداء الواجبات .

٢ - صبر عن المعاصي والمحرمات .

٣ - صبر على المصائب والبلبات .

النوع الأول : الصبر على الطاعات :

نعلم أن الايمان صلة بين الانسان وبين المولى عز وجل وإذا
كانت صلة الأخوة والصداقة البشرية لا تعد ولا يذكّر شأنها الا إذا
أكدتها الأيام وكشفت عن حقيقتها الحوادث المختلفة فكذلك
الايمان فلكى تثبت درجته فى نفس العبد ويظهر صدقه لا بد لصلته
من ابتلاء - بأوامر ونواه وأقدار - يكشف عن حقيقة تلك الصلة ،
ومن ثم فالانسان لا بد أن يدرك تمام الإدراك أن الغاية التى خلق لها
الخلق وثبت بها أمر الدين هي : معرفة الله وافراده بالعبودية والمحبة
والطاعة والإنابة إليه والتوكل عليه وإخلاص العمل له والرضا به
واتباع أوامره جميعها والانتفاء عما نهى عنه .

ونحن إذا أمعنا النظر فى أركان الاسلام اللازمة وجدنا أننا نحتاج
فى القيام بها والمداومة عليها إلى تحمل ومعاناة وصبر .. فالصلاة :

مثلاً كما نعلم عماد الدين وأنها الصلة المباشرة بين الإنسان الفاني والقوة الباقية الخالدة ، وأنها العبادة التي لها منزلة في الاسلام لا تُعدّلُها في منزلتها أية عبادة أخرى .. ولأنها العبادة المتكررة الغير المرتبطة بوقت معين - من العام قرنت بالصبر - وان كان الصبر مطلوباً في العبادات الأخرى - في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^(١) فالمولى عز وجل يعلم الجهد الضخم الذى تتطلبه الاستقامة على الطريق الصحيح .. لذا اوجه الأمة الاسلامية إلى الاستعانة بالصبر والصلاة على تكاليف الدور العظيم الملقى على عاتقهم والذى أوله عرفة الله وتوحيده وطاعته .. ذلك الذى يحتاج أول ما يحتاج إلى الصبر .. إذ لا بد من الصبر على الطاعات ككل وخاصة الصلاة تنوّهاً بشأنها ، وجاء في معنى الآية : عليكم أن تصلوا صابرين على تكاليف الصلاة محتملين لمشاقها وما يجب فيها من اخلاص القلب وحفظ النيات ودفع الوسوس ومراعاة الآداب والاحتراس من المكاره مع الخشية والخشوع .. واستحضار العلم بأنه انتصب بين يدي جبار السموات والأرض ليسأل فك الرقاب عن سخطه وعذابه .^(٢)

فيا أيها الذين آمنوا بالله وبرسله واستعدوا لطاعته ولتلقى أوامره عليكم أن تستعينوا بالصبر .. ذاك الزاد الذى لا بد منه لمواجهة جميع المشاق خاصة تلك التى يجدها فى عبادته لربه وبالأخص فى

(١) سورة البقرة الآية ١٥٣ .

(٢) الكشف ج ١ ص ٢٧٧ .

أنواع الصبر

سبق في أقسام الصبر باعتبار تعلق الأحكام الخمسة به أن الصبر
الواجب ثلاثة أنواع هي :

١ - صبر على الطاعات وأداء الواجبات .

٢ - صبر عن المعاصي والمحرمات .

٣ - صبر على المصائب والبلبات .

النوع الأول : الصبر على الطاعات :

نعلم أن الايمان صلة بين الانسان وبين المولى عز وجل وإذا
كانت صلة الأخوة والصداقة البشرية لا تعد ولا يذكّر شأنها الا إذا
أكدتها الأيام وكشفت عن حقيقتها الحوادث المختلفة فكذلك
الايمان فلكى تثبت درجته فى نفس العبد ويظهر صدقه لا بد لصلته
من ابتلاء - بأوامر ونواه وأقدار - يكشف عن حقيقة تلك الصلة ،
ومن ثم فالانسان لا بد أن يدرك تمام الإدراك أن الغاية التى خلق لها
الخلق وثبت بها أمر الدين هي : معرفة الله وافراده بالعبودية والمحبة
والطاعة والإنابة إليه والتوكل عليه وإخلاص العمل له والرضا به
واتباع أوامره جميعها والانتفاء عما نهى عنه .

ونحن إذا أمعنا النظر فى أركان الاسلام اللازمة وجدنا أننا نحتاج
فى القيام بها والمداومة عليها إلى تحمل ومعاناة وصبر .. فالصلاة :

حينما سئل عن أحب الأعمال إلى الله قال «**الصلاة على وقتها**»^(١) -
 يراها الخاشعون - الخاضعون لطاعة الله الخائفون سطواته المصدقون
 بوعده ووعدته - كبيرة وشديدة وثقيلة ويعرفون منزلتها من الاسلام
 لتكرار الأمر بتأديتها واعداد الثواب العظيم لها إذا كانت جماعة
 ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾^(٢) وطلب
 المحافظة عليها والصبر على ما يجده المسلم في سبيل فعلها .. ويقول
 تعالى ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ
 نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾^(٣) أى أقبل أنت مع أهلك على عبادة الله
 والصلاة واستنقذهم من عذاب الله بالصلاة والصبر عليها
 وملازمته ..^(٤)

واقامة الصلاة كاملة ومحاولة تحقيق آثارها والحكمة منها من كونها
 تبعد عن الرذائل وتطهر المرء من سوء القول والعمل .. من كونها
 تنهى عن الفحشاء والمنكر .. كل ذلك يحتاج إلى اضطبار على ما
 يجده من مشقة في أقامتها في أوقات معينة أو على ما يجده من مشقة
 في أمر أهله بتأديتها أو فيما يشعر به من ضيق أو تعب أو حرج في
 انتظار صلاة الجماعة مثلاً فقد يكون مريضاً أو مشغولاً بأمر مهم أو
 ما شابه ذلك لكنه يحاول بقدر الامكان أن يتغلب على شعوره ذلك
 ويصبر كي ينال محو الذنوب وتكفير الخطايا ورفع الدرجات كما قال

(١) رواه مسلم كتاب الايمان باب أفضل الأعمال ج ٢ ص ٧٤ ، الترمذى ج ٣ ص

٢٠٦ .

(٢) سورة البقرة الآية ٤٣ .

(٣) سورة طه الآية ١٣٢ .

(٤) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ١٧١ .

ﷺ (ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع الدرجات قالوا : بلى يا رسول الله قال : إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط) . (١)

وبتأملنا لقوله تعالى (واصطبر عليها) نجد أن الصيغة هنا صيغة افتعال من الصبر مكان الصيغة المعتادة (اصبر) وصيغة الافتعال إنما تدل على المبالغة في الفعل ونحن نعلم أن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى .. وهو جل وعلا ما قال (واصطبر) الا وهو يعلم أن الطريق إلى طاعة الله مليئة بمشاغل دنيوية سواء من داخل النفس أو من خارجها لذا عقب سبحانه وتعالى ﴿لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا﴾ أى لا نسألك ما لا بل نكلفك عملاً بيدك تؤتيك عليه أجراً عظيماً وثواباً جزيلاً ، ﴿فَنَحْنُ نَرْزُقُكَ﴾ فنعطيك المال ونكسبك ولا نسألك والعاقبة الصالحة من عمل كل عامل لأهل التقوى والخشية من الله دون من لا يخاف له عقاباً ولا يرجو له ثواباً . (٢)

وامثل ﷺ أمر ربه فكان بعد نزول هذه الآية يذهب كل صباح إلى بيت (فاطمة وعلى) رضى الله عنهما فيقول (الصلاة) كما كان عليه الصلاة والسلام إذا نزل بأهله ضيق أمرهم بالصلاة (٣) ومن ثم فالصبر لا يرتبط بتأدية الصلاة فقط بل يلتصق أيضاً بطريق غير مباشر بالزكاة والصدقة والجود والكرم .. والاسلام حبيب إلى

(١) رواه مسلم - كتاب الطهارة باب فضل إسباغ الوضوء على المكاره ج ٣ ص ١٤١ .

(٢) تفسير ابن جرير الطبري ج ١٦ ص ١٧٠ .

(٣) القرطبي ج ٥ ص ٤٣٠٣ .

معتنقيه أن تكون نفوسهم كريمة وأكفهم سخية وحنهم على
المسارعة إلى الاحسان ووجوه الخير وأثنى على المنفقين في سبيل الله
﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ
عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(١)

وبين الاسلام أيضاً أن التعاون والمواساة لا بد منها ليواسى الغنى
الفقير ويعين القوى الضعيف ووضح أن المولى عز وجل جعل
اختلاط الناس ببعضهم البعض رغم اختلاف أحوالهم .. جعله
امتحاناً يختبر به الايمان ويعطى به الثواب ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ
فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾^(٢)

فعلى المسلم أن يقتصد في تلبية حاجات نفسه وأن يخصص جزءاً
من ماله يساعد به المحتاجين أو يسعف به المكرويين وأن يتقى الشح
ويرتفع عن حبه للمال وحرصه على اقتنائه ويحاول بشتى الطرق أن
يصبر عن اجابة دافع البخل في نفسه حتى يعودها الكرم والجود كي
يكون من المفلحين ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا
وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شَحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ
الْمُفْلِحُونَ﴾^(٣)

والانسان كما نعلم مجبول على حب المال لكنه لا بد وأن يمتثل
الأمر باعطاء الزكاة طائعاً ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ
بِهَا﴾^(٤) فلا بد من أن تطهر النفوس من دنس البخل والطمع

(١) سورة البقرة الآية ٢٧٤ .

(٢) سورة الفرقان الآية ٢٠ .

(٣) سورة التباين الآية ١٦ .

(٤) سورة التوبة الآية ١٠٣ .

والدناءة والقسوة على الفقراء وعلى البائسين ، كما ينبغي أن نزيكها
أى نرفع من درجاتها بعمل الخيرات والاكتثار من الصدقات على
مختلف اصنافها من زكاة أو هبة أو نفقة فهي لها شأنها في حياة
الانسان أو بعد مماته يقول ﷺ (ثلاث أقسم عليهن وأحدثكم
حديثاً فاحفظوه : ما نقص مال عبد من صدقة ولا ظلم عبد مظلمة
صبر عليها الا زاده الله عزاً) ^(١)

فقد يظن البعض أن الصدقات تنقص المال وتقرب الانسان من
الفقر فيعيش في قلق رغم وجود الشيء الكثير من المال وهذا الظن
إنما هو من وساوس الشيطان التي يلقيها في نفوس ضعاف الايمان
ولكن ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم
مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ ^(٢)

ومن ثم فالاسلام يوصي بأن يكرم المرء نفسه ثم أهل بيته ثم
ذوى رحمه ثم سائر الناس يقول ﷺ (دينار أنفقته في سبيل الله
ودينار أنفقته في رقة ودينار تصدقت به على أهلك أعظمها أجراً
الذى أنفقته على أهلك) ^(٣)

كما يقول ﷺ (ان المسلم إذا أنفق على أهله نفقة وهو يحتسبها
كانت له صدقة) ^(٤)

ويقول بعض العلماء : والاسلام بهذا الارشاد الدقيق يريد أن

(١) رواه الترمذى باب ما جاء مثل الدنيا مثل أربعة نفر ج ٣ ص ٣٨٥ .

(٢) سورة البقرة الآية ٢٦٨ .

(٣) مسند أحمد ج ٢ ص ٤٧٣ - ٤٧٦ .

(٤) رواه مسلم كتاب الزكاة باب فضل النفقة على الأقرين والزوج والأولاد ج ٧ ص ٨٨ .

يرتب النفقات المشروعة الترتيب المثمر الصالح فان الاسرة قوام المجتمع الكبير والخلية الحية التي تكون بناءه الضخم فتوجيه العناية إليها أجدى على الأمة كلها من حرمانها وتحويل حقوقها عنها .. ثم أن في هذا الارشاد زجراً لطائفة من الناس يجنحون إلى السرف خارج بيوتهم وبين أصدقائهم أو الغرباء عنهم فاذا دخلوا إلى أهلهم كانوا أمثلة سيئة للتقتير والعسف. (١)

فينبغي للمسلم تدبر كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ليدرك ما للزكاة .. وللعطاء والجود .. والصبر على ذلك كله من أثر في الغفران وفي تكفير الذنوب وفي نيل رحمة الله وكرمه وبالتالي يجود بماله عن طيب نفس ورضا امتثالاً لطاعة الله وادراكاً وفهما لما للزكاة من مكانة في الاسلام حيث أنها قرنت بالصلاة - التي هي عماد الدين - وتكرر ذكرهما أكثر بكثير من غيرهما من العبادات من صوم أو حج أو غيره .

وبالنسبة للصوم فعلاقته بالصبر علاقة وطيدة حيث أنه يعود الصبر ويعلم ضبط النفس ويوجد فيها ملكة التقوى ويربها ومن ثم كان حكم الصوم تربية ملكة التقوى في النفس .. يقول تعالى : ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (٢)

أي لعلكم تتقون الله بالمحافظة على تلك العبادة وتعظيمها

(١) خلق المسلم لمحمد الغزالي ص ١٢٩ .

(٢) سورة البقرة الآية ١٨٣ .

أنواع الصبر

سبق في أقسام الصبر باعتبار تعلق الأحكام الخمسة به أن الصبر
الواجب ثلاثة أنواع هي :

١ - صبر على الطاعات وأداء الواجبات .

٢ - صبر عن المعاصي والمحرمات .

٣ - صبر على المصائب والبلبات .

النوع الأول : الصبر على الطاعات :

نعلم أن الايمان صلة بين الانسان وبين المولى عز وجل وإذا
كانت صلة الأخوة والصداقة البشرية لا تعد ولا يذكّر شأنها الا إذا
أكدتها الأيام وكشفت عن حقيقتها الحوادث المختلفة فكذلك
الايمان فلكى تثبت درجته في نفس العبد ويظهر صدقه لا بد لصلته
من ابتلاء - بأوامر ونواه وأقدار - يكشف عن حقيقة تلك الصلة ،
ومن ثم فالانسان لا بد أن يدرك تمام الإدراك أن الغاية التي خلق لها
الخلق وثبت بها أمر الدين هي : معرفة الله وافراده بالعبودية والمحبة
والطاعة والإنابة إليه والتوكل عليه وإخلاص العمل له والرضا به
واتباع أوامره جميعها والانتفاء عما نهى عنه .

ونحن إذا أمعنا النظر في أركان الاسلام اللازمة وجدنا أننا نحتاج
في القيام بها والمداومة عليها إلى تحمل ومعاناة وصبر .. فالصلاة :

والحج الذى هو أحد أركان الاسلام الخمسة فرضه المولى عز وجل على كل مسلم ومسلمة استطاع إليه سبيلاً ﴿وَلِلّٰهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ اِلَيْهِ سَبِيْلًا﴾^(١) هذا الفرض الذى فيه قصد مكة المكرمة حيث المسجد الحرام لأداء مناسك الحج يتطلب صبراً وجهداً وتحملاً من حيث مفارقتة أهله ومسكنه وحرقته ووطنه ومن حيث مشاق السفر التى يجدها الحاج القاطن خارج مكة .. فوسائل المواصلات وان تطورت إلى الأحسن والأسرع والأريح الا أن المراء مايزال يجد فى الوصول إليها مشقة من انتظار ممل - فى المطار أو الميناء قد يلبوم سبع ساعات أو أكثر - أو مراجعة متعبة للحجز مما يسبب للمرء ضيقاً أو تعباً أو ما شابه ذلك وصدق المولى عز وجل إذ يقول ﴿وَتَحْمِلُ اَثْقَالَكُمْ اِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُوْنُوْا بِالِّغِيْهِ اِلَّا بِشِقِّ الْاَنْفُسِ﴾^(٢)

وباعتبار الوقوف بعرفة ركن مهم أساسى فى الحج وعرفة كما نعلم أرض صحراء فلا مفر للحاج من السكون تحت خيمة لم يألف الجلوس فيها - وطبعاً لا ينجى علينا ما للدور الحديثة من توفير سبل الراحة والاطمئنان للانسان - حيث يجد نفسه مع أناس لا يعرفهم ولكنه يعرف أنهم يلبسون ما يلبس ويقصدون المولى عز وجل كما يقصده بالدعاء والتلبية والاستغفار .. ومن ثم تواجهه وسط

(١) سورة آل عمران الآية ٩٧ .

(٢) سورة النحل آية ٧ .

مجموعة كبيرة من البشر تتحرك نحو مكان واحد من عرفة إلى مزدلفة - حيث يبيت فيها أو يقضى معظم الليل فيها وإن لم ينم - يتطلب صبراً وتحملاً وسكينة .. ناهيك عن وجوده وسط الزحام الشديد المتجه لرمى الجمرات ومن ثم قضاء ثلاثة أيام بمنى ربما يبحث فيها عن طعام معين فلا يجده لكثرة الزحام أو لعدم معرفته بمكانه فلا بد له هنا أن يصبر على أى طعام يجده أو شراب أو مكان يأوى إليه وإن لم يكن مريحاً .

وكذلك تنمة مناسك الحج من طواف وسعى ومحاولة تأدية جميع المناسك تتطلب صبراً ومجاهدة للنفس والهوى .. وتلمساً للتقوى وامتنالاً لقوله عز وجل ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَنْ قَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾^(١) وأيضاً رجاء الحصول على الثواب المعد للحج المبرور من تكفير الذنوب ومحوها لقوله ﷺ (من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه)^(٢) وفي رواية الترمذى (من حج فلم يرفث ولم يفسق غفر له ما تقدم من ذنبه)^(٣)

وقوله ﷺ (العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة) .^(٤)

والمقصود بالحج المبرور هنا الذى لم يخالطه إثم ولم يرتكب فيه

(١) سورة البقرة الآية ١٩٧ .

(٢) رواه البخارى كتاب الحج باب فضل الحج المبرور ، انظر فتح البارى ج ٣ ص ٣٠٣ ومسلم كتاب الحج باب فضل الحج والعمرة ج ٩ ص ١١٩ .

(٣) رواه الترمذى فى باب ما جاء فى ثواب الحج والعمرة ج ٢ ص ١٥٣ .

(٤) رواه مسلم كتاب الحج باب الحج والعمرة ج ٩ ص ١١٧ .

محظور أو معصية أو تعد على أحد بشتى أو ضرب أو إلحاق الظلم به .. ومع علمنا أن للحج المبرور منزلة عالية ومكانة كبيرة عند المولى عز وجل المطلع على مدى تحمل عباده لتأدية هذا الركن العظيم وصبرهم على ما فيه من طاعات أو بعد عن المعصيات .

ومن الأمور الهامة المتطلبة للصبر الجهاد في سبيل الله فالمولى عز وجل حث على الجهاد وحجب إليه وأمر بالثبات عند لقاء العدو فقال ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(١)

ولأنه جل شأنه يعلم أن للايمان الصادق الحق وللروح المعنوية القوة أثراً بالغاً عظيماً في صدق الدفاع وفي النصر .. جعل المؤمن الصابر الصادق الايمان يساوى عشرة رجال في المعركة ، ذكر ذلك في قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾^(٢)

ولكن مثل هذا المؤمن الصابر المقاتل نادر الوجود لذا جعل المؤمن الواحد يساوى اثنين من الكفار أو الأعداء حيث جاء في الآية السادسة والستين من سورة الأنفال : ﴿الآن خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾

(١) سورة الأنفال الآية ٤٥ .

(٢) سورة الأنفال الآية ٦٥ .

ونحن إذا تأملنا آيات الجهاد والأحاديث الواردة في فضل الجهاد وجدنا ارتباطها بالصبر ارتباطاً وثيقاً .. فعند فرضية هذه العبادة نرى المولى عز وجل يقول ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (١)

بمعنى فرض (٢) عليكم وترون فيه مشقة وشدة فإن المجاهد أما أن يقتل أو يجرح مع مشقة السفر ومجالدة الأعداء ولكن الجهاد فيه خير لكم فإذا أدبتموه وصبرتم على تأديته كانت عاقبته النصر والظفر على الأعداء والاستيلاء على بلادهم وأموالهم أما إذا أحببتم القعود عن القتال فذلك ليس من مصلحتكم والله حيناً فرضه عليكم - أى الجهاد - فرضه وهو عالم بما فيه صلاحكم في دنياكم وأخراكم فاستجيبوا له وانقادوا لعلكم ترشدون . (٣) ولذا قال ﷺ (من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزوات مات على شعبة من النفاق) (٤)

والجهاد الحقيقي كما نعرف هو ما قصد به وجه الله وأريد به اعلاء كلمة الله .. أما من جاهد وقاتل ليحصل على منصب أو ليظفر بغنيمة أو ليتباهى بشجاعة يراى بها الناس فإنه لا حصة له في الأجر ولا نصيب له في الثواب وبالتالي لم يكن من المجاهدين في

(١) سورة البقرة الآية ٢١٦ .

(٢) يقول ابن العربي في تفسيرها : القتال مكتوب على جميع الخلق ولكن ان كان الاسلام ظاهراً فهو فرض على الكفاية وان كان العلو ظاهراً كان القتال فرضاً على الأعيان ج ١ ص ١٤٦ .

(٣) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٢٥٢ .

(٤) رياض الصالحين ص ٤٧٥ ، رواه مسلم كتاب الجهاد باب ذم من مات ولم يغزج ١٣ ص ٥٦ .

سبيل الله .. وانما المجاهدون في سبيل الله - تلك الغاية المقدسة النبيلة - هم الذين ينفرون خفافا وثقالا شبابا وكهولا ، أغنياء وفقراء ، ضعفاء وأقوياء .. ينفرون صابرين على ما كتب عليهم باذلين أموالهم ومهجهم رخيصة في سبيل الله .. في سبيل مرضاته وامثال أمره ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (١) .

ذلكم خير لكم بنيل الأجر والغنيمة أو الشهادة والجنة .. ومن الخير أيضاً طاعتكم الله ورسوله وامثال أوامرهما واجتنب نواهيها وعدم منازعتكم واختلافكم في ذلك فشلكم وذهاب قوتكم وما كنتم فيه من الاقبال على القتال .. والصبر في ذلك كله نتائج طيبة عائدة عليكم نعلمها من قوله تعالى ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (٢) ومن كان مولاه معه كان مؤيدا ظافرا .

ومعلوم لدينا أن الجهاد ذروة سنام الاسلام وان احتمال مشقات الجهاد ومتاعبه وبذل النفس والنفس في سبيل العقيدة لا يتم الا بالصبر .. لذا جمع بينها في آيات كثيرة :

١ - منها قوله تعالى ﴿وَلْتَبْلَوْنَكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَتَبْلُوا أَخْبَارَكُمْ﴾ (٣) ابتلاء بتكاليف مستمرة ومتنوعة .. وابتلاء بالسراء والضراء .. بالسعة والضيق .. ابتلاء

(١) سورة التوبة الآية ٤١ .

(٢) سورة الانفال الآية ٤٦ .

(٣) سورة محمد الآية ٣١ .

بالصحة والمرض .. ابتلاء ينكشف به المجاهدون والصابرون ويتميزون عن غيرهم وبذلك تتطلع النفوس وترى معادن الناس وتعرف حقائقهم .. ويكون الواحد منهم مثالا وقدوة لغيره أو عبرة ورادعاً لهم .. وتم حكمة الله في الابتلاء .

٢ - وقوله تعالى ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^(١) وذلك فيه حث المؤمنين على الصبر والثبات عند لقاء العدو مهما كثر عدده ومعداته .. فالمجاهدون حقاً في سبيل الله هم الذين يستمدون قوتهم ويقينهم من ثقتهم بالله وانهم من الصابرين .. من ايمانهم الصادق بتحقيق قوله ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢) .

٣ - وقوله تعالى على لسان بعض المؤمنين العارفين بقيمة الصبر ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَبَّتْ أَقْدَامُنَا وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾^(٣) ربنا أفرغ علينا صبراً .. تعبير يصور مشهد الصبر فيضاً من الله يفرغه عليهم فيغمرهم وينسكب عليهم طمأنينة وسكينة واحتمالاً للهول والمشقة .^(٤)

٤ - قوله تعالى ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَلُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾^(٥) أى أحسبتم يا من انهزم يوم أحد أن تدخلوا الجنة كما دخل الذين قتلوا وصبروا على ألم

(١) سورة البقرة الآية ٢٤٩ .

(٢) سورة الروم الآية ٤٧ .

(٣) سورة البقرة الآية ٢٥٠ .

(٤) ظلال القرآن لسيد قطب ج ٢ ص ٣٩٥ .

(٥) سورة آل عمران الآية ١٤٢ .

سبيل الله .. وانما المجاهدون في سبيل الله - تلك الغاية المقدسة النبيلة - هم الذين ينفرون خفافا وثقالا شبابا وكهولا ، أغنياء وفقراء ، ضعفاء وأقوياء .. ينفرون صابرين على ما كتب عليهم باذلين أموالهم ومهجهم رخيصة في سبيل الله .. في سبيل مرضاته وامثال أمره ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (١) .

ذلكم خير لكم بنيل الأجر والغنيمة أو الشهادة والجنة .. ومن الخير أيضاً طاعتكم الله ورسوله وامثال أوامرهما واجتناب نواهيها وعدم منازعتكم واختلافكم في ذلك فشلكم وذهاب قوتكم وما كنتم فيه من الاقبال على القتال .. والصبر في ذلك كله نتائج طيبة عائدة عليكم نعلمها من قوله تعالى ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (٢) ومن كان مولاه معه كان مؤيدا ظافرا .

ومعلوم لدينا أن الجهاد ذروة سنام الاسلام وان احتمال مشقات الجهاد ومتاعبه وبذل النفس والنفس في سبيل العقيدة لا يتم الا بالصبر .. لذا جمع بينها في آيات كثيرة :

١ - منها قوله تعالى ﴿وَلْتَبْلَوْنَكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَتَبْلُواْ أَخْبَارَكُمْ﴾ (٣) ابتلاء بتكاليف مستمرة ومتنوعة .. وابتلاء بالسراء والضراء .. بالسعة والضيق .. ابتلاء

(١) سورة التوبة الآية ٤١ .

(٢) سورة الانفال الآية ٤٦ .

(٣) سورة محمد الآية ٣١ .

الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا^(١).

فهو مأمور هنا بأن يستعمل معها لين الجانب وحسن الخلق والاحتمال فيوقرهما وبطييعهما ويخفض جناحه لهما ويكرمهما بالقول والفعل فلا يؤثر عليهما زوجة ولا ولدا ولا يسافر الا باذنهما ورضاهما ولا ينهرهما ولا يرفع صوته فوق صوتيهما .. بل لم يرخص له في أدنى كلمة - أف - تظهر ، تضجره وعدم صبره على احتمال احوالهما أو أقوالهما خاصة إذا تقدمت بهما السن حيث تنهن قوتيهما وتضعف وتشتد حاجتهما إلى مزيد من العناية بشئونهما والرعاية لمشاعرهما .. والدعاء لهما بالرحمة عند كبيرهما وبعد وفاتهما .

وحسبنا بياناً لمتزلة الأبوين واشادة بحقها أن قرن المولى عز وجل الاحسان إليهما بالأمر بتوحيده في كثير من الآيات منها قوله تعالى ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾^(٢) وقوله تعالى ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْهِ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾^(٣)

وقوله تعالى ﴿وَقَضَىٰ رَبِّيَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾^(٤) وإذا ربط سياق الآيات بر الوالدين بعبادة الله فهو يعلن قيمة هذا البر عند خالق البشر ، وفي تكرار الوصية بالاحسان للوالدين تحريك لوجدان الأبناء ولفت انتباههم وتذكيرهم بما فعله

(١) سورة الاسراء الآيات ٢٣ - ٢٤ .

(٢) سورة النساء الآية ٣٦ .

(٣) سورة الانعام الآية ١٥١ .

(٤) سورة الاسراء الآية ٢٣ .

سبيل الله .. وانما المجاهدون في سبيل الله - تلك الغاية المقدسة النبيلة - هم الذين ينفرون خفافا وثقالا شبابا وكهولا ، أغنياء وفقراء ، ضعفاء وأقوياء .. ينفرون صابرين على ما كتب عليهم باذلين أموالهم ومهجهم رخيصة في سبيل الله .. في سبيل مرضاته وامثال أمره ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (١) .

ذلكم خير لكم بنيل الأجر والغنيمة أو الشهادة والجنة .. ومن الخير أيضاً طاعتكم الله ورسوله وامثال أوامرهما واجتنب نواهيها وعدم منازعتكم واختلافكم في ذلك فشلكم وذهاب قوتكم وما كنتم فيه من الاقبال على القتال .. والصبر في ذلك كله نتائج طيبة عائدة عليكم نعلمها من قوله تعالى ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (٢) ومن كان مولاه معه كان مؤيداً ظافراً .

ومعلوم لدينا أن الجهاد ذروة سنام الاسلام وان احتمال مشقات الجهاد ومتاعبه وبذل النفس والنفس في سبيل العقيدة لا يتم الا بالصبر .. لذا جمع بينها في آيات كثيرة :

١ - منها قوله تعالى ﴿وَلْتَبْلَوْنَكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَتَبْلُواْ أَخْبَارَكُمْ﴾ (٣) ابتلاء بتكاليف مستمرة ومتنوعة .. وابتلاء بالسراء والضراء .. بالسعة والضيق .. ابتلاء

(١) سورة التوبة الآية ٤١ .

(٢) سورة الانفال الآية ٤٦ .

(٣) سورة محمد الآية ٣١ .

والاسلام يدعو إلى بر الوالدين ولو كانا مشركين ويأمر بالبر بهما والاحسان إليهما ، ويحرم عقوقهما وعصيانها الا أن يدعو إلى أمر مخالف للدين يقول تعالى ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ (١) ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ (٢).

فالمسلم هنا مأمور بأن يصاحبها في الدنيا بالمعروف ويطيعهما في غير معصية الخالق وتضييع كحقه .. يصاحبها بالاحسان غير متأثر بموقفها من ايمانه .. صابراً على دينه متمسكاً به مادام يعلم أنه على حق .

وبتأملنا للآيات الثلاث الموصية ببر الوالدين نجد أن التوصية منصبة على الانسان فكأن فيها أمراً بتنفيذ الوصية بانسانيته .. بأخلاقه .. بأدميته مراعيًا من امتص رحيق حياتها كى يعيش هو .. مهتماً بمن تحملا الآلام والمشقات كى يسعد هو . صابراً على كل ما يصدر عنها مما لا يرغبه أو مما ليس في مقدوره ، فعله .. متأملاً الحديث الشريف الذى رواه عبدالله بن مسعود قال (سألت النبي ﷺ أى الأعمال أحب إلى الله تعالى ؟ قال : الصلاة على وقتها . قلت ثم أى ؟ قال : بر الوالدين ، قلت : ثم أى ؟ قال : الجهاد فى سبيل الله . قال حدثني بهن رسول الله ﷺ ولو استزددته لزادني) (٣).

(١) سورة العنكبوت ٨ . (٢) سورة لقمان الآية ١٥ .

(٣) رواه مسلم ج ٢ ص ٧٤ كتاب الايمان باب أفضل الأعمال ورواية الترمذى (با رسول الله أى الأعمار أفضل ؟ قال الصلاة لميقاتها قلت ثم ماذا ؟) ج ٣ ص ٢٠٦ .

وكان الظاهر أن يقدم الجهاد على الصلاة لوقتها وبر الوالدين لأن فيه مشقة أكبر وبذل للمال والنفس ، ولكن الجهاد واجب وقضى والصلاة واجب دائم كالبر بالوالدين .. فالصبر على مشقتها وان كان أدنى من الصبر في مواطن الجهاد ولقاء العدو إلا أن المداومة على تأديتها طوال السنين جعلت المشقة فيها أكبر ورفعت درجتها عن الجهاد وان كان الجميع قرناء .

والصبر زاد لا بد منه لمن سلك طريق العلم .. فالاسلام - على علمنا - فرض على المسلم أن يتعلم (أصول العقائد والعبادات والمعاملات والحلال والحرام) بما تسلم به عقيدته وبصح دينه وان كان فرض على الأمة الاسلامية أيضاً أن تتعلم من وسائل الحياة وال عمران وأسباب القوة ما يقوم بشأنها ويصون عزتها حتى تكون حصناً منيعاً في وجه أعدائها .. وقد بين فضل العلم وشرفه وعلو مكانته وفرق بين العالم والجاهل في قوله تعالى ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(١) ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾^(٢)

وطريق العلم محفوف بالمتاعب مملوء بالصعاب ويتطلب اجتهاداً ومثابرة وأدباً وحلماً وصبراً وهذا ما اشترطه العبد الصالح على النبي موسى عليه السلام حينما طلب منه ملازمته واستأذنه لمرافقته .. حيث شرط عليه ألا يسأله عن تصرفاته بل يصبر عليه لأنه سيبين له سرها ويعلمها له فيما بعد ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ

(١) سورة الزمر الآية ٩ .

(٢) سورة المجادلة الآية ١١ .

مِمَّا عَلِمْتَ رُشْدًا * قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * وَكَيفَ
 تُصَبِّرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا * قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا
 وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا * قَالَ فَإِنِ ابْجَعْتَنِي فَلَا تُسْأَلَنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى
 أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا * فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ
 خَرَقْنَاهَا ^(١) فَهَالِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ هَذَا الْفِعْلَ الْعَجِيبَ وَنَسَى
 شَرْطَهُ فَاعْتَرَضَ ﴿قَالَ أَخَرَقْنَاهَا لِنُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا
 إِمْرًا﴾ ^(٢) فَذَكَرَهُ بِالْشَّرْطِ ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ
 صَبْرًا * قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي
 عُسْرًا﴾ ^(٣) وَقَبْلَ الرَّجُلِ اعْتِذَارَهُ ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ
 قَالَ أَقْتَلْتُمْ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾ ^(٤)

قال ذلك وكله أَسَى وتوجعاً لموت الغلام البريء .. قاله جازعاً
 غير صابر على وقوع هذا المنكر الفظيع .. معترضاً على هذه الجريمة
 الحاصلة دونما ذنب .. فما كان من العبد الصالح إلا أن قال بلهجة
 المعاتب المؤنب ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ ^(٥)
 مؤكداً بذلك على ضرورة صبر المتعلم .. وهنا رد موسى على الفور

-
- (١) سورة الكهف الآيات ٦٦ - ٧١ .
 (٢) الإمبر : العجيب كما ذكره القرطبي ج ٥ ص ٤٠٥٨ وروى ابن جرير عن مجاهد أن
 امرأ : منكراً ج ١٥ ص ١٨٤ .
 (٣) سورة الكهف الآيات ٧٢ - ٧٣ .
 (٤) سورة الكهف الآية ٧٤ ، قال ابن عطية امرأ : أفضع وأهول من حيث هو متوقع
 عظيم ، ونكراً : بين في الفساد لأن مكروهه قد وقع وهذا بين - أى أن نكراً أبلغ -
 القرطبي ج ٥ ص ٤٠٦١ .
 (٥) سورة الكهف الآية ٧٥ .

وكان الظاهر أن يقدم الجهاد على الصلاة لوقتها وبر الوالدين لأن فيه مشقة أكبر وبذل للمال والنفس ، ولكن الجهاد واجب وقضى والصلاة واجب دائم كالبر بالوالدين .. فالصبر على مشقتها وان كان أدنى من الصبر في مواطن الجهاد ولقاء العدو إلا أن المداومة على تأديتها طوال السنين جعلت المشقة فيها أكبر ورفعت درجتها عن الجهاد وان كان الجميع قرناء .

والصبر زاد لا بد منه لمن سلك طريق العلم .. فالاسلام - على علمنا - فرض على المسلم أن يتعلم (أصول العقائد والعبادات والمعاملات والحلال والحرام) بما تسلم به عقيدته وبصح دينه وان كان فرض على الأمة الاسلامية أيضاً أن تتعلم من وسائل الحياة وال عمران وأسباب القوة ما يقوم بشأنها ويصون عزتها حتى تكون حصناً منيعاً في وجه أعدائها .. وقد بين فضل العلم وشرفه وعلو مكانته وفرق بين العالم والجاهل في قوله تعالى ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(١) ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾^(٢)

وطريق العلم محفوف بالمتاعب مملوء بالصعاب ويتطلب اجتهاداً ومثابرة وأدباً وحلماً وصبراً وهذا ما اشترطه العبد الصالح على النبي موسى عليه السلام حينما طلب منه ملازمته واستأذنه لمرافقته .. حيث شرط عليه ألا يسأله عن تصرفاته بل يصبر عليه لأنه سيبين له سرها ويعلمها له فيما بعد ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ

(١) سورة الزمر الآية ٩ .

(٢) سورة المجادلة الآية ١١ .

ومن يصطبر للعالم يظفر بنيله ومن يخطب الحسنة يصبر على البذل
ومن لم يذل النفس في طلب العلا يسيرا يعيش دهرًا طويلاً أخا ذل^(١)

٣ - درساً في أدب المتعلم مع العلم .. وهذا يتراءى لنا في قول موسى عليه السلام ﴿ هَلْ أَتَيْتَكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَ مِنَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾^(٢) بهذا الأدب الجم يخاطبه .. فوسى يضع نفسه من العبد الصالح موضع المتعلم فيعطى له حق قيادته وارشاده .. فاذا نبهه إلى أمر تنبه وإذا بين له خطأ بادر إلى الاعتذار ووعد بالطاعة (لا تؤاخذني بما نسيت) .

٤ - كشف العبد الرباني لموسى الغطاء عن شيئين في نفس الوقت حيث كشف له أن علمه (أى علم موسى) محمد .. كما كشف له أن كثيراً من المصائب التي تقع على الأرض تخفى في رداؤها الأسود الكتيب رحمة عظمى .. فالنعمة تخفى في ثياب المحنة وترتدى الرحمة قناع الكارثة ويختلف ظاهر الأشياء عن باطنها حتى ليحتج نبي الله موسى عليه السلام على تصرف يجري أمامه ثم يلفته عبد من عباد الله إلى حكمة التصرف ومغزاه ورحمة الله التي تخفى نفسها وراء أقنعة عديدة .^(٣)

(١) صفحات من صبر العلماء لعبد الفتاح أبوغدة ص ٥٢ الطبعة الثانية .

(٢) سورة الكهف الآية ٦٦ .

(٣) أنبياء الله - أحمد بهجت ص ٢٥٤ ، ٢٥٥ الطبعة الثالثة .

وكان الظاهر أن يقدم الجهاد على الصلاة لوقتها وبر الوالدين لأن فيه مشقة أكبر وبذل للمال والنفس ، ولكن الجهاد واجب وقضى والصلاة واجب دائم كالبر بالوالدين .. فالصبر على مشقتها وان كان أدنى من الصبر في مواطن الجهاد ولقاء العدو إلا أن المداومة على تأديتها طوال السنين جعلت المشقة فيها أكبر ورفعت درجتها عن الجهاد وان كان الجميع قرناء .

والصبر زاد لا بد منه لمن سلك طريق العلم .. فالإسلام - على علمنا - فرض على المسلم أن يتعلم (أصول العقائد والعبادات والمعاملات والحلال والحرام) بما تسلم به عقيدته وبصح دينه وان كان فرض على الأمة الإسلامية أيضاً أن تتعلم من وسائل الحياة وال عمران وأسباب القوة ما يقوم بشأنها ويصون عزتها حتى تكون حصناً منيعاً في وجه أعدائها .. وقد بين فضل العلم وشرفه وعلو مكانته وفرق بين العالم والجاهل في قوله تعالى ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(١) ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾^(٢)

وطريق العلم محفوف بالمتاعب مملوء بالصعاب ويتطلب اجتهاداً ومثابرة وأدباً وحلماً وصبراً وهذا ما اشترطه العبد الصالح على النبي موسى عليه السلام حينما طلب منه ملازمته واستأذنه لمرافقته .. حيث شرط عليه ألا يسأله عن تصرفاته بل يصبر عليه لأنه سيبين له سرها ويعلمها له فيما بعد ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ

(١) سورة الزمر الآية ٩ .

(٢) سورة المجادلة الآية ١١ .

الايان يطلق على التصديق والأعمال وهنا التصديق والمعرفة يكونان اليقين والعمل هنا يعنى الصبر ولانها لا يستغنيان عن بعضهما اقترنا هنا .

٣ - الشكر : وهو طاعة لورود آيات كثيرة تأمر به منها قوله تعالى ﴿فكولوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا﴾^(١) وقوله ﴿ان اشكر لى ولوالديك الى المصير﴾^(٢) ولأن الشكر يعقب نعماء كثيرة لم تفتن صاحبها أو مصائب جملة عرف أنها من أقدار الله فصبر عليها اقترن الصبر بالشكر فى قوله تعالى ﴿ان فى ذلك لايات لكل صبار شكور﴾ حيث جاء هذا التذييل لأربع آيات من أربع سور مكية .^(٣)

٤ - الحق : فى قوله تعالى ﴿وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾ وهنا اقترن الحق والصبر لأن تكاليف الحق ثقيلة وطريقه مخوف بالمكارة ومن نصب نفسه للحق .. عليه أن يستمسك بالصبر ويتحلى به فى سبيل الحق حيث لا نصر للحق بغير صبر ومن ثم فتكرار لفظة التواصى بالصبر تدل على مكانة الصبر وأهميته وأنه ينبغى للمرء أن يتواصى به لذات الصبر وليس تبعاً للحق فقط .

٥ - التقوى : فى قوله تعالى ﴿وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا﴾^(٤) ﴿وان تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور﴾^(٥) ﴿انه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر

(١) سورة النحل الآية ١١٤ . (٢) سورة لقمان الآية ١٤ .

(٣) المعجم المفهرس ص ٤٠١ مادة صبر (٤) سورة العصر الآية ٣ .

(٥) آل عمران الآية ١٢٠ .

وكان الظاهر أن يقدم الجهاد على الصلاة لوقتها وبر الوالدين لأن فيه مشقة أكبر وبذل للمال والنفس ، ولكن الجهاد واجب وقضى والصلاة واجب دائم كالبر بالوالدين .. فالصبر على مشقتها وان كان أدنى من الصبر في مواطن الجهاد ولقاء العدو إلا أن المداومة على تأديتها طوال السنين جعلت المشقة فيها أكبر ورفعت درجتها عن الجهاد وان كان الجميع قرناء .

والصبر زاد لا بد منه لمن سلك طريق العلم .. فالإسلام - على علمنا - فرض على المسلم أن يتعلم (أصول العقائد والعبادات والمعاملات والحلال والحرام) بما تسلم به عقيدته وبصح دينه وان كان فرض على الأمة الإسلامية أيضاً أن تتعلم من وسائل الحياة وال عمران وأسباب القوة ما يقوم بشأنها ويصون عزتها حتى تكون حصناً منيعاً في وجه أعدائها .. وقد بين فضل العلم وشرفه وعلو مكانته وفرق بين العالم والجاهل في قوله تعالى ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(١) ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾^(٢)

وطريق العلم محفوف بالمتاعب مملوء بالصعاب ويتطلب اجتهاداً ومثابرة وأدباً وحلماً وصبراً وهذا ما اشترطه العبد الصالح على النبي موسى عليه السلام حينما طلب منه ملازمته واستأذنه لمرافقته .. حيث شرط عليه ألا يسأله عن تصرفاته بل يصبر عليه لأنه سيبين له سرها ويعلمها له فيما بعد ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ

(١) سورة الزمر الآية ٩ .

(٢) سورة المجادلة الآية ١١ .

كان منه الا أن عرض الأمر على الابن لينظر فيه وحتى لا يأخذ ابنه
ويذبحه قهراً ﴿يَا بَنِي إِيَّيْ أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا
تَرَى؟﴾^(١) وإذا برد الابن يأتيه مبيناً رضاه لأمر الله وكاشفاً له
منافسته في حب الله ومخلداً اسمه في سجل الأنبياء الصابرين
﴿يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾^(٢) ..
وهذا دخل في زمرة الصابرين ﴿وإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ
مِّنَ الصَّابِرِينَ * وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾^(٣)
وكانت تلك التضحية في سبيل الله تضحية من وجهين : تضحية
الوالد بولده وتضحية الابن بنفسه ..^(٤) وهي بالتالي من أرفع صور
الايمان وأجلها في تاريخ الإنسانية .. ومن ثم لا نعرف أى مشاعر
جاشت في نفس إبراهيم بعد استسلام ابنه الصابر .. وكل الذى
نعرفه انه من كان مطيعاً تقياً كان صابراً .
ومن هنا نرى أن معظم الطاعات والأعمال الصالحات مرتبطة
بهذا القول العظيم ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُم
مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾^(٥) مما يجعل للصبر مكانة عالية ويجعله في تأدية
العبادات واجباً .

(١) سورة الصافات الآية ١٠٢ .

(٢) سورة الصافات الآية ١٠٢ .

(٣) سورة الأنبياء الآيات ٨٥ ، ٨٦ .

(٤) مع الأنبياء لعفيف طبارة ص ١٣٩ ، أنبياء الله أحمد بهجت ص ٩٤ .

(٥) سورة هود الآية ١١ .

الفصل الثانى

أقسام الصبر باعتبار تعلق الأحكام الخمسة به

- ☐ الصبر الواجب .
- ☐ الصبر المندوب .
- ☐ الصبر المباح .
- ☐ الصبر المكروه .
- ☐ الصبر المحظور .

يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين ﴿١﴾ ﴿اتل ما أوحى إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون﴾ ﴿٢﴾ .. فإذا تركت الصلاة وغفل المرء عنها وسول له الشيطان أن لا فائدة منها وقعت الفاحشة وابتعد المرء عن ربه وضاعت حياته سدى وإذا فارق الدنيا فارقها على غير ملة الاسلام - والعياذ بالله - يقول ﷺ (بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة) ﴿٣﴾

وإذا صبر المسلم عن ملهيات الحياة وشهواتها الفانية وحافظ على صلواته التي تصله بمولاه وتمده بقوة عند المحن وجاهد بشدة الوسواس والمغريات التي تصرفه عن الصلاة .. فصبره ذاك محمود واجب ، ولأن من يخضع جوارحه لأمر الله في الصلاة من ركوع وسجود - مرات عديدة في اليوم والليلة تصبح نفسه مطيعة لأوامر الله ورسوله في بقية الأمور وفي طاعتها الطريق الموصل لسعادته في الدنيا والآخرة .

ومن المعاصي المفروض الصبر عنها عقوب الوالدين والذي من مظاهره :

١ - شتمها وسبها الذي يعد من الكبائر فقد قال رسول الله ﷺ (من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه قيل يا رسول الله

(١) سورة هود الآية ١١٤ .

(٢) سورة العنكبوت الآية ٤٥ .

(٣) صحيح مسلم كتاب الايمان باب حكم تارك الصلاة ج ٢ ص ٧١ ، نيل الأوطار ج ١ ص ٣٤٠ .

الفصل الثانى

أقسام الصبر باعتبار تعلق الأحكام الخمسة به

- ☐ الصبر الواجب .
- ☐ الصبر المندوب .
- ☐ الصبر المباح .
- ☐ الصبر المكروه .
- ☐ الصبر المحظور .

وسخط الرب في سخط الوالد^(١)

ومن المعاصي التي يجب البعد عنها التخلف عن جهاد العدو لأن ذلك يؤدي إلى الهزيمة وبالتالي إلحاق العار والذل بالأمة ، ومن ثم فالتخلف عن جهاد العدو معصية تفضي بصاحبها إلى أمرين : غضب الله وعذاب النار قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفُوا^(٢) فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ * وَمَنْ يُولُوهُمْ يَوْمَئِذٍ ذُبُرُهُ إِلَّا مُتَحَفِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ^(٣) .. بل التخلف عن الجهاد من الموبقات التي حذرنا منها المصطفى عليه الصلاة والسلام (اجتنبوا السبع الموبقات قالوا وما هن يا رسول الله ؟ قال : الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات)^(٤) .

وقد يكون التخلف عن جهاد الأعداء - بعدم المشاركة في جيوش المسلمين وخوض غمار المعركة لدفع خطر الأعداء - تكاسلاً وتهاوناً دون عذر وإيثاراً للدعة والعيش في أمان وذلك كما حصل لثلاثة من المسلمين في عهد النبي ﷺ - هم كعب بن مالك ، هلال بن أمية الواقفي ، مرارة بن الربيع العمرى -^(٥) وهؤلاء قد

-
- (١) الترمذى ج ٣ ص ٢٠٧ باب الفضل في رضا الوالدين .
 (٢) التراخي : التذاني والتقارب ، ومتحرفاً للقتال : مستطرداً لقتال عدوه بطلب عورة له يمكنه اصابتها فيكر عليه ، متحيزاً إلى فئة : صائراً إلى حيز المؤمنين الذين يثبتون به معهم إليهم - الطبرى ج ٩ ص ١٣٣ .
 (٣) سورة الأنفال الآية ١٥ ، ١٦ .
 (٤) الكبائر للذهبي ص ٧٨ ، مسلم ج ٢ ص ٨٣ كتاب الايمان باب اكبر الكبائر .
 (٥) رياض الصالحين ص ١٨ .

الفصل الثانى

أقسام الصبر باعتبار تعلق الأحكام الخمسة به

- ☐ الصبر الواجب .
- ☐ الصبر المندوب .
- ☐ الصبر المباح .
- ☐ الصبر المكروه .
- ☐ الصبر المحظور .

الله إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسناً قال : إن الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس^(١) ويقول (ألا أخبركم بأهل النار ؟ : كل عتل^(٢) جواظ مستكبر^(٣)) .

ولكن قبل أن تقع هذه العاقبة الوخيمة وحيث لا ينفع الندم هناك علاج للكبرياء .. هو الصبر عنها .. هو أن يعود الانسان إلى نفسه فينظر في أصل نشأته . ومنتهى حياته ويرى هل يسوغ له أن يتكبر ؟ فهو إذا عرف قدر نفسه حق المعرفة وعرف مبلغ هوانه كان ذلك حافزاً له على نزع الكبرياء من نفسه وهذا ما يلفت القرآن الكريم النظر إليه حيث يقول تعالى ﴿ولا تمش في الأرض مرحاً إنك لن تحرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا﴾^(٤) ﴿ولا تمش في الأرض مرحاً إن الله لا يحب كل مختال فخور﴾^(٥) .

وفي معاملتنا المادية توجد بعض المعاملات هي في أصلها معاص وآفات حرمها الاسلام أو حذرنا منها ورسم لنا كيفية معالجتها بما فيه صلاح الفرد والمجتمع منها :

١ - أكل الربا : فهو محرم بقوله تعالى ﴿وأحل الله البيع وحرم الربا﴾^(٦) وبلغه رسول الله ﷺ فقد روى عن ابن مسعود أنه قال

-
- (١) رواه مسلم كتاب الايمان باب تحريم الكبر ج ٢ ص ٨٩ .
 (٢) العتل : هو الغليظ الجافي ، والجواظ هو الجموع المتنوع أو هو الصنم الجسم المختال .
 (٣) منهاج المسلم لأبي بكر الجزائري ص ١٦٠ ، رواه البخاري كتاب التفسير (باب عتل بعد ذلك زيم) فانظر فتح الباري ج ٨ ص ٥٠٨ ، وأبوداود : بروايته : لا يدخل الجنة الجواظ الجعظري) باب في حسن الخلق ج ٢ ص ٥٥٣ .
 (٤) سورة الاسراء الآية ٣٧ .
 (٥) سورة لقمان الآية ١٨ .
 (٦) سورة البقرة الآية ٢٧٥ .

(لعن رسول الله ﷺ آكل الربا وموكله وشاهده وكتابه) ^(١) وجعله
 ﷺ من المهلكات في الدنيا والآخرة حيث قال : (اجتنبوا السبع
 الموبقات : ... وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق وأكل
 الربا) ^(٢)

والاسلام إنما حرّمه لأنه يجعل العلاقة بين الأفراد علاقة مادية
 صرفة لا أثر فيها للتعاون والتسامح ولا قيمة فيها للأخلاق ، لذا
 نقول لأرباب المال : ان سول لكم الشيطان وحبب إلى نفوسكم
 هذه المعصية وهي استغلال المال في الربا ، لأن فائدته مضمونة ،
 فارتكبتوها فعليكم أن ترجعوا إلى هدى الله وتستغفروه عما سلف
 وان لم تفعلوها فاصبروا عن هذه المعصية ولا تجعلوها سبيلاً إلى
 نفوسكم الطيبة ولتحاولوا استغلال هذه الأموال في التجارة
 والصناعة والزراعة ومن ثم الربح والخسارة إنما هو من مالك
 الأموال جميعها .. وان أبيتم الا الربا فويل لكم لانتهاكم حرّمات
 الله وعدم طاعتكم أوامره .

يقول تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنْ
 الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ۖ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ
 وَإِن تُبْتِغُوا فَلََكُمْ رَأْسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ ^(٣)

(١) رواه أبوداود في كتاب البيوع باب في آكل الربا وموكله وفي عون المعبود ج ٩ ص
 ١٨٢ قال النووي فيه تصريح بتحريم كتابة المترايين والشهادة عليها وتحريم الاعانة
 على الباطل .

(٢) البخاري كتاب الوصايا باب قول الله تعالى ﴿إِن الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ وَانْظُرْ
 فتح الباري ج ٥ ص ٢٩٤ ، مسلم كتاب الايمان باب أكبر الكبائر ج ٢ ص ٨٣ .
 (٣) سورة البقرة (٢٧٨ و ٢٧٩) .

٢ - أكل أموال اليتامى : فكانت معصية لأن اليتامى ضعفاء

ليس لهم معين يساعدهم ويعتنى بهم ويحفظ حقوقهم لذا حرم الاسلام أكل أموالهم وحذر من الطمع فيها بما تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ويخافون بطشه وعقابه .. قال تعالى ﴿وَأُولَئِكَ الَّذِينَ يَتِمُّونَ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَبْدُلُوا الْوَصِيَّةَ الَّتِي أُوتِيَ بِهَا ۚ وَلَا تَكُونُوا لِلْمُتَرِيقِينَ الْكُلُوبِ أُولَئِكَ يُدْخِلُونَ فِي الْأَمْوَالِ الَّتِي لَكُمْ أَكْثَرَ مِنْ أَكْثَرِ الْبُنُوتِ ۚ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهِمْ وَنَسَبِهِمْ غَافِلُونَ ۚ﴾ (١) أى ولا تضموها إليها فى الانفاق حتى لا تفرقوا بين أموالكم وأموالهم قلة مبالاة (٢) بما لا يحل لكم وتسوية بينه وبين الحلال انه أى أكلها ذنبا عظيما .

وقال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ (٣)

واعتبر الاسلام ذلك من الموبقات السبع (وأكل مال اليتيم) (٤) فكافل اليتيم ان صبر عن هذه المعصية المحرمة فحاول تدبير أموره المالية لرعايته لليتامى - أو استعمل مال اليتيم - ان كان فقيرا - بما يعود عليه أو عليها بالنفع - فى تجارة أو زراعة - وبحيث يحفظ لليتيم حقه الأصلى عاملاً بقوله : ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (٥) .. ومن ثم حاول أن يتعهد ويرشده ويعوضه عن أبيه كافلا رحما وراعيا حكيماً أثيب على ذلك كله بمرتبة عليا يقول

(١) سورة النساء الآية ٢ .

(٢) تفسير النسفى ج ١ ص ٢٠٥ .

(٣) سورة النساء الآية ١٠ .

(٤) رواه مسلم كتاب الايمان باب اكبر الكبائر ج ٢ ص ٨٣ .

(٥) سورة الانعام الآية ١٥٢ .

(لعن رسول الله ﷺ آكل الربا وموكله وشاهده وكتابه) ^(١) وجعله
 ﷺ من المهلكات في الدنيا والآخرة حيث قال : (اجتنبوا السبع
 الموبقات : ... وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق وأكل
 الربا) ^(٢)

والاسلام إنما حرّمه لأنه يجعل العلاقة بين الأفراد علاقة مادية
 صرفة لا أثر فيها للتعاون والتسامح ولا قيمة فيها للأخلاق ، لذا
 نقول لأرباب المال : ان سول لكم الشيطان وحبب إلى نفوسكم
 هذه المعصية وهي استغلال المال في الربا ، لأن فائدته مضمونة ،
 فارتكبتموها فعليكم أن ترجعوا إلى هدى الله وتستغفروه عما سلف
 وان لم تفعلوها فاصبروا عن هذه المعصية ولا تجعلوها سبيلاً إلى
 نفوسكم الطيبة ولتحاولوا استغلال هذه الأموال في التجارة
 والصناعة والزراعة ومن ثم الربح والخسارة إنما هو من مالك
 الأموال جميعها .. وان أبيتم الا الربا فويل لكم لانتهاكم حرّمات
 الله وعدم طاعتكم أوامره .

يقول تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنْ
 الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ۖ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ
 وَإِن تُبْتِغُوا فَلََكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ ^(٣)

(١) رواه أبوداود في كتاب البيوع باب في آكل الربا وموكله وفي عون المعبود ج ٩ ص
 ١٨٢ قال النووي فيه تصريح بتحريم كتابة المترايين والشهادة عليها وتحريم الاعانة
 على الباطل .

(٢) البخاري كتاب الوصايا باب قول الله تعالى ﴿إِن الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ

فَتُحْمَلُونَ مِنْهَا وَلَهُمْ عِلْمٌ بِمَا يُكُلُّونَ وَالْأُولَىٰ عَلَى الْآخِرَةِ﴾ فتح الباري ج ٥ ص ٢٩٤ ، مسلم كتاب الايمان باب أكبر الكبائر ج ٢ ص ٨٣ .

(٣) سورة البقرة (٢٧٨ و ٢٧٩) .

ومادام البخل معصية محرمة لما تجره على الانسانية من شرور وأحقاد وبما تظمسه في نفس المؤمن - والعياذ بالله - من حب للاحسان والبر أو القرض ومادامت هذه نتيجة البخل وعاقبته كان الصبر عن هذه التزعة الخسيسة واجباً ونافعاً لصاحبه قال تعالى ﴿فَالْقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْراً لِّأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١)

والاسلام حرصاً منه على صحة أفرادهِ ومحافظة منه على سلامتهم البدنية والنفسية - كى يؤدوا فرائضه بخشوع - حرم عليهم بعض المأكولات والمشروبات لما تجلبه عليهم من أضرار وشرور كالخمر مثلاً حرمت بقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ (٢)

وتناولها بعد من المعاصي الكبيرة التى يجب الصبر عنها مهما حاولت نفس المرء أن تغريه ليتناولها على أساس كونها دواء للأزمات النفسية أو على أساس مساقرة الأصدقاء فى المناسبات الراقية الاجتماعية .. هذه النفس الشريرة ينبغى دفع شرها وكبت رغبتها المحرمة الغير واعية لأضرار هذه الخمر الملعونة ويكفى أنها تزيل عقل الانسان ويحدث بعدها ما يحدث من مصائب وشرور حيث يغتصب

(١) سورة التغابن الآية ١٦ .

(٢) سورة المائدة الآيات ٩٠ - ٩١ .

(لعن رسول الله ﷺ آكل الربا وموكله وشاهده وكتابه) ^(١) وجعله
 ﷺ من المهلكات في الدنيا والآخرة حيث قال : (اجتنبوا السبع
 الموبقات : ... وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق وأكل
 الربا) ^(٢)

والاسلام إنما حرّمه لأنه يجعل العلاقة بين الأفراد علاقة مادية
 صرفة لا أثر فيها للتعاون والتسامح ولا قيمة فيها للأخلاق ، لذا
 نقول لأرباب المال : ان سول لكم الشيطان وحبب إلى نفوسكم
 هذه المعصية وهي استغلال المال في الربا ، لأن فائدته مضمونة ،
 فارتكبتموها فعليكم أن ترجعوا إلى هدى الله وتستغفروه عما سلف
 وان لم تفعلوها فاصبروا عن هذه المعصية ولا تجعلوا لها سبيلاً إلى
 نفوسكم الطيبة ولتحاولوا استغلال هذه الأموال في التجارة
 والصناعة والزراعة ومن ثم الربح والخسارة إنما هو من مالك
 الأموال جميعها .. وان أبيتم الا الربا فويل لكم لانتهاكم حرّمات
 الله وعدم طاعتكم أوامره .

يقول تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنْ
 الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ۖ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ
 وَإِن تُبْتِغُوا فَلََكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ ^(٣)

(١) رواه أبوداود في كتاب البيوع باب في آكل الربا وموكله وفي عون المعبود ج ٩ ص
 ١٨٢ قال النووي فيه تصريح بتحريم كتابة المترايين والشهادة عليها وتحريم الاعانة
 على الباطل .

(٢) البخارى كتاب الوصايا باب قول الله تعالى ﴿إِن الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ وَانْظُرْ
 فتح البارى ج ٥ ص ٢٩٤ ، مسلم كتاب الايمان باب أكبر الكبائر ج ٢ ص ٨٣ .
 (٣) سورة البقرة (٢٧٨ و ٢٧٩) .

واجب ، ولو بحث بعض المسلمين - المسافرين للخارج - عن الحكمة في تحريمها لما صبر عنها فقط بل لخر ساجداً لله شاكراً له على تشريعه الحكيم المتضمن تحريم أغلب الأشياء التي تضر بالإنسان فثلاً لحم الخنزير فيه أضرار تدعو إلى تحريمه لا على المسلمين وحدهم ولكن على البشرية كلها :

١ - حيث فيه بعض الأمراض المعدية التي إذا ما انتقلت للإنسان أصابته بأمراض خطيرة قد تودى بحياته .

٢ - وقد تتقل صفات الحيوان - المتغذى بلحمه - وأخلاقه إلى الإنسان حيث تؤثر فيه وفي ميوله .. ويقال أن بعض القبائل المتخلفة في أفريقيا أصبحت شرسة تميل إلى العنف والقتل وسفك الدماء بدون سبب وذلك نتيجة أكلها الحيوانات آكلة اللحوم . ولما كان الخنزير حيواناً شرساً مفترساً كان الصبر عن تناول لحمه واجباً محافظة على الصفات والأخلاق الإنسانية .

٣ - ومن ثم فلهذه يحتمل على نسبة كبيرة من الدهن تصل إلى نصف وزنه وهذا الدهن عسر الهضم ويزيد احتمال الذبحة القلبية وتصلب الشرايين .^(١)

فهذه الأضرار وغيرها تكفي المرء للصبر عن تناول هذا اللحم الخبيث وأمثاله وإن كان الصبر عنها واجباً اجتناباً لتحريم الله المصريح في الآيات السابقة .

(١) مجلة الوعي الإسلامي عدد ١٣٩٦/١٣٩ هـ ص ٦١ .

(لعن رسول الله ﷺ آكل الربا وموكله وشاهده وكتابه) ^(١) وجعله
 ﷺ من المهلكات في الدنيا والآخرة حيث قال : (اجتنبوا السبع
 الموبقات : ... وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق وأكل
 الربا) ^(٢)

والاسلام إنما حرّمه لأنه يجعل العلاقة بين الأفراد علاقة مادية
 صرفة لا أثر فيها للتعاون والتسامح ولا قيمة فيها للأخلاق ، لذا
 نقول لأرباب المال : ان سول لكم الشيطان وحبب إلى نفوسكم
 هذه المعصية وهي استغلال المال في الربا ، لأن فائدته مضمونة ،
 فارتكبتموها فعليكم أن ترجعوا إلى هدى الله وتستغفروه عما سلف
 وان لم تفعلوها فاصبروا عن هذه المعصية ولا تجعلوها سبيلاً إلى
 نفوسكم الطيبة ولتحاولوا استغلال هذه الأموال في التجارة
 والصناعة والزراعة ومن ثم الربح والخسارة إنما هو من مالك
 الأموال جميعها .. وان أبيتم الا الربا فويل لكم لانتهاكم حرّمات
 الله وعدم طاعتكم أوامره .

يقول تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنْ
 الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ۖ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ
 وَإِن تُبْتِغُوا فَلََكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ ^(٣)

(١) رواه أبوداود في كتاب البيوع باب في آكل الربا وموكله وفي عون المعبود ج ٩ ص
 ١٨٢ قال النووي فيه تصريح بتحريم كتابة المترايين والشهادة عليها وتحريم الاعانة
 على الباطل .

(٢) البخارى كتاب الوصايا باب قول الله تعالى ﴿إِن الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ وَانْظُرْ
 فتح البارى ج ٥ ص ٢٩٤ ، مسلم كتاب الايمان باب أكبر الكبائر ج ٢ ص ٨٣ .
 (٣) سورة البقرة (٢٧٨ و ٢٧٩) .

مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنْ أَتَّبَعَىٰ ذَٰلِكَ
فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ^(١)

ولماذا لا يصبر عن هذه المعصية الظاهرة الفسادة ؟ .. وهلا اقتدى بيوسف عليه السلام الذى صبر عن هذه المعصية الكبيرة صبر اختيار ورضا ؟ وحاول جاهداً محاربة نفسه - البشرية الأماره بالسوء - خاصة وأن جميع الأسباب كانت مهياة ودافعة له على اقرار تلك المعصية العظيمة منها :

١ - ان المرأة التى دعته إلى نفسها سيدته وهى جميلة ومكتملة وجريئة .

٢ - ولأنه كان شابا فيه الحيوية والنشاط والقوة .

٣ - وكان غريباً بعيداً عن أهله وأصحابه والغريب قد يخطر له أن يفعل ما يشاء فى بلد الغربة دون أن يستحى من شىء .

٤ - وكان أيضاً غير متزوج فليس عنده ما يصونه ويرد عنه شهوته .

٥ - وكان أيضاً مملوكاً - عبداً - لسيدته التى تأمره أن يفعل بها الفاحشة وكان بإمكانه الاستجابة لها خاصة وأن سيده غير موجود وكان بإمكانه إطاعة أمرها دفعاً لتهديدها حيث توعدته - ان لم يفعل ما تقوله - بالسجن والصغار ﴿وَلَئِنْ لَّمْ يَفْعَلْ مَا ءَامُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ﴾^(٢)

ولكن يوسف عليه السلام مع وجود هذه الأسباب جميعها

(١) سورة المؤمنون الآيات ٥ - ٧ .

(٢) سورة يوسف الآية ٣٢ .

(لعن رسول الله ﷺ آكل الربا وموكله وشاهده وكتابه) ^(١) وجعله
 ﷺ من المهلكات في الدنيا والآخرة حيث قال : (اجتنبوا السبع
 الموبقات : ... وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق وأكل
 الربا) ^(٢)

والاسلام إنما حرّمه لأنه يجعل العلاقة بين الأفراد علاقة مادية
 صرفة لا أثر فيها للتعاون والتسامح ولا قيمة فيها للأخلاق ، لذا
 نقول لأرباب المال : ان سول لكم الشيطان وحبب إلى نفوسكم
 هذه المعصية وهي استغلال المال في الربا ، لأن فائدته مضمونة ،
 فارتكبتموها فعليكم أن ترجعوا إلى هدى الله وتستغفروه عما سلف
 وان لم تفعلوها فاصبروا عن هذه المعصية ولا تجعلوها سبيلاً إلى
 نفوسكم الطيبة ولتحاولوا استغلال هذه الأموال في التجارة
 والصناعة والزراعة ومن ثم الربح والخسارة إنما هو من مالك
 الأموال جميعها .. وان أبيتم الا الربا فويل لكم لانتهاكم حرّمات
 الله وعدم طاعتكم أوامره .

يقول تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ
 الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ۖ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ
 وَإِن تُبْتِغُوا فَلََكُمْ رَأْسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ ^(٣)

(١) رواه أبوداود في كتاب البيوع باب في آكل الربا وموكله وفي عون المعبود ج ٩ ص
 ١٨٢ قال النووي فيه تصريح بتحريم كتابة المترايين والشهادة عليها وتحريم الاعانة
 على الباطل .

(٢) البخارى كتاب الوصايا باب قول الله تعالى ﴿إِن الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ وَانظر
 فتح الباري ج ٥ ص ٢٩٤ ، مسلم كتاب الايمان باب أكبر الكبائر ج ٢ ص ٨٣ .
 (٣) سورة البقرة (٢٧٨ و ٢٧٩) .

يحادثون أنفسهم بالزنا .. كى يصبروا عنه ويتقوا ربهم ويخشوا عذابه المتضاعف يوم القيامة ﴿وَلَا يَزُنُونَ﴾ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا^(١) وإذا ما صبر المرء عن هذه المعصية ربما اعتبر من السبعة الذين يظلمهم الله بظله يوم القيامة يقول ﷺ (سبعة يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله إمام عادل ، وشاب نشأ في عبادة الله ورجل قلبه معلق في المساجد ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل دعت امرأته ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله)^(٢)

النوع الثالث الصبر على البلاء

خلق المولى عز وجل الحياة الدنيا على طبيعة متغيرة متقلبة فيها الحزن والمسرة .. فيها الصحة والمرض .. فيها المحبوب والمكروه . وقد يكون مقدرأ على بعض الناس صنوف من الابتلاء فليس أمامه إلا الصبر والتسليم ، الصبر على ما قدر له والتسليم والرضا بقضاء الله .. وذلك هو الطريق الصحيح لاجتياز الامتحان الأكبر .. وهو الحياة ، ولكن الانسان يدهش للصعاب ويتبرم بالآلام ويجزع للمصائب وإذا صدمته أو نزلت به كارثة فزع وجزع وضاعت عليه

(١) سورة الفرقان الآيات ٦٨ - ٦٩ .

(٢) صحيح البخارى كتاب الزكاة باب الصدقة باليمين وفتح البارى ج ٣ ص ٢٣٢ وصحيح مسلم كتاب الزكاة باب فضل اخفاء الصدقة ج ٧ ص ١٢٠ ، مسند أحمد ج ٢ ص ٤٣٩ ، النسائى كتاب القضاة باب الامام العادل ج ٨ ص ١٩٦ .

(لعن رسول الله ﷺ آكل الربا وموكله وشاهده وكتابه) ^(١) وجعله
 ﷺ من المهلكات في الدنيا والآخرة حيث قال : (اجتنبوا السبع
 الموبقات : ... وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق وأكل
 الربا) ^(٢)

والاسلام إنما حرّمه لأنه يجعل العلاقة بين الأفراد علاقة مادية
 صرفة لا أثر فيها للتعاون والتسامح ولا قيمة فيها للأخلاق ، لذا
 نقول لأرباب المال : ان سول لكم الشيطان وحبب إلى نفوسكم
 هذه المعصية وهي استغلال المال في الربا ، لأن فائدته مضمونة ،
 فارتكبتموها فعليكم أن ترجعوا إلى هدى الله وتستغفروه عما سلف
 وان لم تفعلوها فاصبروا عن هذه المعصية ولا تجعلوها سبيلاً إلى
 نفوسكم الطيبة ولتحاولوا استغلال هذه الأموال في التجارة
 والصناعة والزراعة ومن ثم الربح والخسارة إنما هو من مالك
 الأموال جميعها .. وان أبيتم الا الربا فويل لكم لانتهاكم حرّمات
 الله وعدم طاعتكم أوامره .

يقول تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ
 الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ۖ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ
 وَإِن تُبْتِغُوا فَلََكُمْ رَأْسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ ^(٣)

(١) رواه أبوداود في كتاب البيوع باب في آكل الربا وموكله وفي عون المعبود ج ٩ ص
 ١٨٢ قال النووي فيه تصريح بتحريم كتابة المترايين والشهادة عليها وتحريم الاعانة
 على الباطل .

(٢) البخارى كتاب الوصايا باب قول الله تعالى ﴿إِن الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ وَانظر
 فتح الباري ج ٥ ص ٢٩٤ ، مسلم كتاب الايمان باب أكبر الكبائر ج ٢ ص ٨٣ .
 (٣) سورة البقرة (٢٧٨ و ٢٧٩) .

أخته ممن يربطه بهم رابطة وثيقة متينة كالنسب أو الرحم أو الصداقة فليس أمامه الا الصبر ، وما عليه الا الاسترجاع تسليماً ورضى بقضاء الله وبقدره - يقول ﷺ (إن الله لا يرضى لعبده المؤمن إذا ذهب بصفه من أهل الأرض فصبر واحتسب - وقال ما أمر به - بثواب دون الجنة) .^(١)

نعم ان هذا الثواب العظيم يكون لمن صبر عند الصدمة الأولى بقلبه ولسانه واعيا ان المرء مهما عاش لا بد أن يرجع إلى ربه ولا بد أن يترك هذه الدنيا الفانية .

ولئن صبر عن فقد الأشخاص ذوى الأرواح الطيبة فأولى به من صبره على فقد ماله أو متاعه أو عقاره بضياح أو بحريق أو بغيره ذلك أن تلك الأشياء ما هى الا متاع الحياة الدنيا ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمْلاً﴾^(٢)

ومن ثم فالبلاء سواء كان نفسياً أو بدنياً لم ينج منه أشرف البشر وهم الأنبياء .. بل هم أشد الناس ابتلاء فعن مصعب بن سعد بن أبى وقاص عن أبيه قال (قلت يا رسول الله أى الناس أشد بلاء ؟ قال : الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل يبتلى العبد على حسب دينه فإن كان فى دينه صلأاً اشتد بلاؤه) .

ومن هنا نعلم أن البلاء لا يدل على شقاء الانسان .. فالسعادة والشقاء فى هذه الدنيا لا يترتبان على الأعمال الصالحة أو السيئة

(١) سورة الكهف الآية ٤٦ .

(٢) ابن ماجة كتاب الفتن باب الصبر على البلاء ج ٢ ص ١٣٣٤ .

(لعن رسول الله ﷺ آكل الربا وموكله وشاهده وكتابه) ^(١) وجعله
 ﷺ من المهلكات في الدنيا والآخرة حيث قال : (اجتنبوا السبع
 الموبقات : ... وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق وأكل
 الربا) ^(٢)

والاسلام إنما حرمه لأنه يجعل العلاقة بين الأفراد علاقة مادية
 صرفة لا أثر فيها للتعاون والتسامح ولا قيمة فيها للأخلاق ، لذا
 نقول لأرباب المال : ان سول لكم الشيطان وحبب إلى نفوسكم
 هذه المعصية وهي استغلال المال في الربا ، لأن فائدته مضمونة ،
 فارتكبتوها فعليكم أن ترجعوا إلى هدى الله وتستغفروه عما سلف
 وان لم تفعلوها فاصبروا عن هذه المعصية ولا تجعلوها سبيلاً إلى
 نفوسكم الطيبة ولتحاولوا استغلال هذه الأموال في التجارة
 والصناعة والزراعة ومن ثم الربح والخسارة إنما هو من مالك
 الأموال جميعها .. وان أبيتم الا الربا فويل لكم لانتهاكم حرمان
 الله وعدم طاعتكم أوامره .

يقول تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنْ
 الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ۖ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ
 وَإِن تُبْتِغُوا فَلََكُمْ رَأْسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ ^(٣)

(١) رواه أبوداود في كتاب البيوع باب في آكل الربا وموكله وفي عون المعبود ج ٩ ص
 ١٨٢ قال النووي فيه تصريح بتحريم كتابة المترايين والشهادة عليها وتحريم الاعانة
 على الباطل .

(٢) البخارى كتاب الوصايا باب قول الله تعالى ﴿إِن الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ وَانْظُرْ
 فتح البارى ج ٥ ص ٢٩٤ ، مسلم كتاب الايمان باب أكبر الكبائر ج ٢ ص ٨٣ .
 (٣) سورة البقرة (٢٧٨ و ٢٧٩) .

العزة : نعم العبد - أشرف وصف للانسان - ثم قال فيه : إنه أواب^(١) أى رجاع لله منيب إليه فى كل الأمور .

ومن ثم فالمرء لا يدرك الحكمة من تناثر المصائب والبلبات عليه فقد يكون فيها الخير له حيث تعاف نفسه متع الدنيا شيئاً فشيئاً فلا يعود ينخدع بها أو يركن إليها أو تستهويه ورب ضارة نافعة ورب محنة فى طيها منح ورحمات يقول الرسول الكريم ﷺ (من يرد الله به خيراً يصب منه)^(٢) ويقول أيضاً (ان عظم الجزاء من عظم البلاء وان الله تعالى إذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضى فله الرضا ومن سخط فله السخط)^(٣)

ولهذا كله ولمعرفة الدعاة إلى الله بأهمية سلاح الصبر وأنه السيف البتار للباطل وأنه الضياء - للحديث الشريف - والصبر ضياء - الذى ينير لهم طريق دعوتهم .. اتخذ الدعاة إلى الله الصبر صديقاً ورفيقاً يخفف عنهم ما يواجهونه من متاعب وآلام ومن أذى واتهامات عظام يقابلهم بها الناس المعرضين عن الحق ولهذا وصى لقمان الحكيم ابنه بالصبر على ما يستقبله من بلاء وأذى واضطهاد .. بعد أن وصاه بالأمر بالمعروف حيث قال له ﴿يابنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور﴾^(٤) .

(١) أواب : إلى طاعة الله مقبل وإلى رضاه رجاع تفسير الطبرى ٢٣ ص ١٠٩ .

(٢) رواه البخارى كتاب المرضى باب ما جاء فى كفارة المرض وانظر فتح البارى ج ١٠ ص ٩٤ حيث يقول فى معنى يصب منه : أى يتلبه بالمصائب ليشبه عليها .

(٣) الترمذى فى كتاب الزهد باب الصبر على البلاء ج ٤ ص ٢٧ ، وابن ماجه فى كتاب الفتن باب الصبر على البلاء ج ٢ ص ١٣٣٨ .

(٤) سورة لقمان الآية ١٧ .

ولكم تحمل نوح عليه السلام من قومه من البلاء والأذى ما تحمل ولكن ذلك لم يمنعه من مواصلة الدعوة ولم يفقده صبره فظل يدعوهم بشتى الطرق وقد بين ذلك فى مناجاته لربه ﴿رب إني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدتهم دعائي إلا فرارا . وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم فى آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا . ثم إني دعوتهم جهارا . ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم إسرارا . فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا﴾^(١) ولكن ذلك لم يثمر ولم يجد .. بل كانوا يتهمون به بما ليس فيه فيصبر ﴿وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين﴾^(٢) ﴿إن هو إلا رجل به جنة فترى صوا به حتى حين﴾^(٣) وكان يرشدهم بالحسنة فيقابلوه بالسئنة ويتحمل .. وظل يدعوهم ألف سنة إلا خمسين عاما تارة بالانذار والتبشير وتارة بالسرو والعلن وتارة أخرى بالليل والنهار وبذل ما فى وسعه ليقنعهم بدعوته وصبر على مالقىه منهم من الاتهام والأذى والبلاء .

وإبراهيم عليه السلام لما لم يجد من قومه آذانا صاغية لدعوته بل وجد إعراضا وعداوة وهجرا لم يصدده ذلك عن قصده ولم يدخل الوهن إلى قلبه بل أقام دليلا حسيّا لقومه على بطلان عبادة الأصنام ﴿فجعلهم جذاذا إلا كبيرا لهم لعلهم إليه يرجعون﴾^(٤) وعرف القوم أن الفاعل إبراهيم عليه السلام وانتقاما لآلهتهم المزعومة وخوفاً من اقتضاح حالهم - لضبياع حجتهم - أصدرُوا حكمهم عليه بالموت

(١) بسورة نوح الآيات ٥ - ١٠ . (٢) سورة هود الآية ٢٧ .

(٣) سورة المؤمنون الآية ٢٥ . (٤) سورة الأنبياء الآية ٥٨ .

حرقاً ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾^(١)
ولكن إبراهيم لم يخزع ولم يصب بانهار يفقده وعيه بل وقف
أمام الجمع المتجمع من قومه صابراً مطمئناً إلى مصيره تغمره الثقة
بالله .. فانجاه الله من كيدهم وحر نارهم قال تعالى ﴿قُلْنَا يَانَارُ كُونِي
برداً وسلاماً على إبراهيم﴾^(٢).

ولما أمر المولى عز وجل خاتم رسله ﷺ بالصبر قال ﴿وَاصْبِرْ
عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾^(٣) وبين له ما حدث
لإخوانه الأنبياء من قبل فقال ﴿وَلَقَدْ كَذَبْتَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبِرُوا
عَلَى مَا كَذَبُوا وَأَوْذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا...﴾^(٤) وحكى على لسانهم
رداً على العصاة المؤذنين من أقوالهم ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى
اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾^(٥).

وإيذاء المشركين للأنبياء وأتباعهم من المؤمنين لا يقف عند حد
الايذاء في الأنفس والأموال بل قد يتعدى الأمر إلى طردهم من
بلادهم التي نشأوا عليها وترعرعوا فيها كما حدث لشعيب عليه
السلام وغيره من الأنبياء قال تعالى : ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا
مِنْ قَوْمِهِ لِنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ
لَنَعُوذَنَّ فِي مَلِئْنَا﴾^(٦)

لذا يهوى سبحانه المؤمنين لاستقبال ما سينالهم من الأذى
والبلاء من أهل الكتاب والمشركين آمراً إياهم بالصبر والصبر

(١) سورة الأنبياء الآية ٦٨ . (٢) سورة الأنبياء الآية ٦٩ .

(٣) سورة المزمل الآية ١٠ . (٤) سورة الانعام الآية ٣٤ .

(٥) سورة ابراهيم الآية ١٢ . (٦) سورة الأعراف الآية ٨٨ .

ولكم تحمل نوح عليه السلام من قومه من البلاء والأذى ما تحمل ولكن ذلك لم يمنعه من مواصلة الدعوة ولم يفقده صبره فظل يدعوهم بشتى الطرق وقد بين ذلك فى مناجاته لربه ﴿رب إني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدتهم دعائي إلا فرارا . وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم فى آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا . ثم إني دعوتهم جهارا . ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم إسرارا . فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا﴾^(١) ولكن ذلك لم يثمر ولم يجد .. بل كانوا يتهمون به بما ليس فيه فيصبر ﴿وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين﴾^(٢) ﴿إن هو إلا رجل به جنة فترى صوا به حتى حين﴾^(٣) وكان يرشدهم بالحسنة فيقابلوه بالسئنة ويتحمل .. وظل يدعوهم ألف سنة إلا خمسين عاما تارة بالانذار والتبشير وتارة بالسرو والعلن وتارة أخرى بالليل والنهار وبذل ما فى وسعه ليقنعهم بدعوته وصبر على مالقىه منهم من الاتهام والأذى والبلاء .

وإبراهيم عليه السلام لما لم يجد من قومه آذانا صاغية لدعوته بل وجد إعراضا وعداوة وهجرا لم يصدده ذلك عن قصده ولم يدخل الوهن إلى قلبه بل أقام دليلا حسيّا لقومه على بطلان عبادة الأصنام ﴿فجعلهم جذاذا إلا كبيرا لهم لعلهم إليه يرجعون﴾^(٤) وعرف القوم أن الفاعل إبراهيم عليه السلام وانتقاما لآلهتهم المزعومة وخوفاً من اقتضاح حالهم - لضبياع حجتهم - أصدرُوا حكمهم عليه بالموت

(١) بسورة نوح الآيات ٥ - ١٠ . (٢) سورة هود الآية ٢٧ .

(٣) سورة المؤمنون الآية ٢٥ . (٤) سورة الأنبياء الآية ٥٨ .

١ - فمرة يصبره على أذى المشركين ويدعوه ليقْتدَى ببعض الأنبياء فيقول له جل وعلا ﴿اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الأيد^(١) إنه أواب^(٢)﴾

٢ - ومرة يصبره على أذاهم ويصرفه عن ذلك الأذى والبلاء بطلب التوجه إليه وأمره له بتسييحه .. وذلك أن التسبيح وذكر الله ينسى المرء آلامه ويوسع له صدره فيقول تعالى ﴿فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك^(٣)﴾ ﴿فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ..^(٤)﴾

٣ - ومرة يأمره بالصبر لحكم ربه وقضائه وبلائه^(٥) .. ويثبته على صبره ويبين له أنه معه في كل خطوة وذلك في قوله تعالى ﴿فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت^(٦)﴾ ﴿واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم^(٧)﴾

ويرى الفخر الرازي : ان معنى (واصبر لحكم ربك) إما أن يكون في تأخير الأذن في القتال - الذى كان يتعجله بعض أصحابه - أو يكون المعنى عاماً في جميع التكليف أى فاصبر

(١) يقول الطبرى : ذا الأيد : ذا القوة والبطش الشديد في ذات الله والصبر على طاعته ج ٢٣ ص ٨٦ ، وروى ابن كثير عن ابن عباس الأيد : القوة وعن قتادة أعطى داود قوة في العبادة وفقها في الاسلام ج ٤ ص ٢٩ .

(٢) سورة ص الآية ١٧ .

(٣) سورة ق الآية ٢٩ .

(٤) سورة طه الآية ١٣٠ .

(٥) ابن كثير ج ٤ ص ٢٤٥ ، ٤٠٨ .

(٦) سورة القلم الآية ٤٨ .

(٧) سورة الطور الآية ٤٨ .

ولكم تحمل نوح عليه السلام من قومه من البلاء والأذى ما تحمل ولكن ذلك لم يمنعه من مواصلة الدعوة ولم يفقده صبره فظل يدعوهم بشتى الطرق وقد بين ذلك في مناجاته لربه ﴿رب إني دعوت قومي ليلاً ونهاراً فلم يزدتهم دعائي إلا فراراً . وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكباراً . ثم إني دعوتهم جهاراً . ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم إسراراً . فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً﴾^(١) ولكن ذلك لم يثمر ولم يجد .. بل كانوا يتهمون به بما ليس فيه فيصبر ﴿وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين﴾^(٢) ﴿إن هو إلا رجل به جنة فترى صوا به حتى حين﴾^(٣) وكان يرشدهم بالحسنة فيقابلوه بالسئنة ويتحمل .. وظل يدعوهم ألف سنة إلا خمسين عاماً تارة بالإنذار والتبشير وتارة بالسرو والعلن وتارة أخرى بالليل والنهار وبذل ما في وسعه ليقنعهم بدعوته وصبر على ما لقيه منهم من الاتهام والأذى والبلاء .

وإبراهيم عليه السلام لما لم يجد من قومه آذانا صاغية لدعوته بل وجد إعراضاً وعداوة وهجراً لم يصدده ذلك عن قصده ولم يدخل الوهن إلى قلبه بل أقام دليلاً حسيماً لقومه على بطلان عبادة الأصنام ﴿فجعلهم جذاذاً ألا كبيراً لهم لعلهم إليه يرجعون﴾^(٤) وعرف القوم أن الفاعل إبراهيم عليه السلام وانتقاماً لآلهتهم المزعومة وخوفاً من اقتضاح حالهم - لضبياع حجتهم - أصدرُوا حكمهم عليه بالموت

(١) بسورة نوح الآيات ٥ - ١٠ . (٢) سورة هود الآية ٢٧ .

(٣) سورة المؤمنون الآية ٢٥ . (٤) سورة الأنبياء الآية ٥٨ .

المراء أنه يتعبد لله في كل صغيرة وكبيرة في كل حركة ونية وفي ذلك مشقة تحتاج إلى اضطبار .. مشقة لها لذة لا يعرفها الا من تذوقها وأحسن بعبوديته لله بكل اخلاص وصدق ، يقول الغزالي في هذا المعنى (والصبر على الطاعة شديد لأن النفس بطبعها تنفر من العبودية ..) وقال أيضاً (فان العبودية شاقة على النفس مطلقاً ثم من العبادات ما يكره بسبب الكسل كالصلاة ومنها ما يكره بسبب البخل كالزكاة ومنها ما يكره بسببها جميعاً كالحج والجهاد فالصبر على الطاعة صبر على الشدائد)^(١)

وأما ابن عباس رضى الله عنه فيرى غير ذلك حيث يقول : الصبر في القرآن على ثلاثة أوجه : صبر على أداء الفرائض لله تعالى وصبر عن محارم الله تعالى وصبر في المصيبة عند الصدمة الأولى ، فمن صبر على أداء فرائض الله تعالى فله ثلاثمائة درجة ، ومن صبر على محارم الله فله ستمائة درجة ، ومن صبر في المصيبة عند الصدمة الأولى فله تسعمائة درجة . يقول صاحب قوت القلوب : ولم يفضل ابن عباس الصبر على المصيبة لأنه أفضل من الصبر عن المحارم وعلى الفرائض بل لأن الصبر عليها من أحوال المسلمين والصبر على المصيبة من مقامات اليقين وانما فضل المقام في اليقين على مقام الاسلام .^(٢)

وأما ابن القيم فيؤيد ما اخترته من كون الصبر على الطاعة هو الأفضل والأعلى مرتبة عند الله ويعارض ما مال إليه ابن عباس

(١) احياء علوم الدين ج ٤ ص ٦٨ .

(٢) قوت القلوب ج ١ ص ١٩٨ .

ولكم تحمل نوح عليه السلام من قومه من البلاء والأذى ما تحمل ولكن ذلك لم يمنعه من مواصلة الدعوة ولم يفقده صبره فظل يدعوهم بشتى الطرق وقد بين ذلك فى مناجاته لربه ﴿رب إني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدتهم دعائي إلا فرارا . وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم فى آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا . ثم إني دعوتهم جهارا . ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم إسرارا . فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا﴾^(١) ولكن ذلك لم يثمر ولم يجد .. بل كانوا يتهمون به بما ليس فيه فيصبر ﴿وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين﴾^(٢) ﴿إن هو إلا رجل به جنة فترى صوا به حتى حين﴾^(٣) وكان يرشدهم بالحسنة فيقابلوه بالسئنة ويتحمل .. وظل يدعوهم ألف سنة إلا خمسين عاما تارة بالانذار والتبشير وتارة بالسرو والعلن وتارة أخرى بالليل والنهار وبذل ما فى وسعه ليقنعهم بدعوته وصبر على مالقىه منهم من الاتهام والأذى والبلاء .

وإبراهيم عليه السلام لما لم يجد من قومه آذانا صاغية لدعوته بل وجد إعراضا وعداوة وهجرا لم يصدده ذلك عن قصده ولم يدخل الوهن إلى قلبه بل أقام دليلاً حسيماً لقومه على بطلان عبادة الأصنام ﴿فجعلهم جذاذا إلا كبيرا لهم لعلهم إليه يرجعون﴾^(٤) وعرف القوم أن الفاعل إبراهيم عليه السلام وانتقاما لآلهتهم المزعومة وخوفاً من اقتضاح حالهم - لضبياع حجتهم - أصدرُوا حكمهم عليه بالموت

(١) بسورة نوح الآيات ٥ - ١٠ . (٢) سورة هود الآية ٢٧ .

(٣) سورة المؤمنون الآية ٢٥ . (٤) سورة الأنبياء الآية ٥٨ .

الفضل الثاني

الأسباب التي تعين على الصبر

- ☐ الإيمان بقدر الله وقضائه .
- ☐ معرفة الإنسان بطبيعة الحياة الدنيا .
- ☐ معرفة الإنسان نفسه .
- ☐ اليقين بفرج الله .
- ☐ الاستعانة بالله .
- ☐ الاقتداء بالأنبياء .
- ☐ اليقين بالجزاء الحسن للصّابرين .

ولكم تحمل نوح عليه السلام من قومه من البلاء والأذى ما تحمل ولكن ذلك لم يمنعه من مواصلة الدعوة ولم يفقده صبره فظل يدعوهم بشتى الطرق وقد بين ذلك فى مناجاته لربه ﴿رب إني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدتهم دعائي إلا فرارا . وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم فى آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا . ثم إني دعوتهم جهارا . ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم إسرارا . فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا﴾^(١) ولكن ذلك لم يثمر ولم يجد .. بل كانوا يتهمون به بما ليس فيه فيصبر ﴿وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين﴾^(٢) ﴿إن هو إلا رجل به جنة فترى صوا به حتى حين﴾^(٣) وكان يرشدهم بالحسنة فيقابلوه بالسئنة ويتحمل .. وظل يدعوهم ألف سنة إلا خمسين عاما تارة بالانذار والتبشير وتارة بالسرو والعلن وتارة أخرى بالليل والنهار وبذل ما فى وسعه ليقنعهم بدعوته وصبر على مالقىه منهم من الاتهام والأذى والبلاء .

وإبراهيم عليه السلام لما لم يجد من قومه آذانا صاغية لدعوته بل وجد إعراضا وعداوة وهجرا لم يصدده ذلك عن قصده ولم يدخل الوهن إلى قلبه بل أقام دليلاً حسيماً لقومه على بطلان عبادة الأصنام ﴿فجعلهم جذاذا إلا كبيرا لهم لعلهم إليه يرجعون﴾^(٤) وعرف القوم أن الفاعل إبراهيم عليه السلام وانتقاما لآلهتهم المزعومة وخوفاً من اقتضاح حالهم - لضبياع حجتهم - أصدرُوا حكمهم عليه بالموت

(١) بسورة نوح الآيات ٥ - ١٠ . (٢) سورة هود الآية ٢٧ .

(٣) سورة المؤمنون الآية ٢٥ . (٤) سورة الأنبياء الآية ٥٨ .

الأسباب التي تعين على الصبر

لما كانت للصبر مشقة وصعوبة على النفس أرشدنا ابن القيم للدواء يعين عليه : فالصبر وان كان شاقاً كريهاً على النفوس فتحصيله ممكن وهو يتركب من مفردين : العلم والعمل ففنها تركب جميع الأدوية التي تداوى بها القلوب والأبدان فلا بد من جزء علمي وجزء عملي ففنها يركب هذا الدواء الذي هو أنفع الأدوية ، فأما الجزء العلمي فهو ادراك ما في المأمور من الخير والنفع واللذة والكمال ، وادراك ما في المحذور من الشر والضر والنقص ، فإذا أدرك .. هذين العلمين كما ينبغي أضاف إليهما العزيمة الصادقة والهمة العالية والنخوة والمروءة الانسانية وضم هذا الجزء إلى هذا الجزء ففتى فعل ذلك حصل له الصبر وهانت عليه مشاقه وحلت له مراراته وانقلب ألمه لذة .^(١) وهناك بعض الأسباب التي تعين عليه :

١ - الإيمان بقدر الله وقضائه :

مما يعين المرء - خاصة المؤمن - على الصبر إيمانه بقدر الله وأنه واقع لا محالة في ذلك .. وان ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه .. وما دامت نكبات الدهر وحوادث الأيام لا دخل

(١) عدة الصائرين ص ٤١ ، ٤٢ .

ولكم تحمل نوح عليه السلام من قومه من البلاء والأذى ما تحمل ولكن ذلك لم يمنعه من مواصلة الدعوة ولم يفقده صبره فظل يدعوهم بشتى الطرق وقد بين ذلك فى مناجاته لربه ﴿رب إني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدتهم دعائي إلا فرارا . وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم فى آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا . ثم إني دعوتهم جهارا . ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم إسرارا . فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا﴾^(١) ولكن ذلك لم يثمر ولم يجد .. بل كانوا يتهمون به بما ليس فيه فيصبر ﴿وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين﴾^(٢) ﴿إن هو إلا رجل به جنة فترى صوا به حتى حين﴾^(٣) وكان يرشدهم بالحسنة فيقابلوه بالسئنة ويتحمل .. وظل يدعوهم ألف سنة إلا خمسين عاما تارة بالانذار والتبشير وتارة بالسرو والعلن وتارة أخرى بالليل والنهار وبذل ما فى وسعه ليقنعهم بدعوته وصبر على مالقىه منهم من الاتهام والأذى والبلاء .

وإبراهيم عليه السلام لما لم يجد من قومه آذانا صاغية لدعوته بل وجد إعراضا وعداوة وهجرا لم يصدده ذلك عن قصده ولم يدخل الوهن إلى قلبه بل أقام دليلا حسيّا لقومه على بطلان عبادة الأصنام ﴿فجعلهم جذاذا إلا كبيرا لهم لعلهم إليه يرجعون﴾^(٤) وعرف القوم أن الفاعل إبراهيم عليه السلام وانتقاما لآلهتهم المزعومة وخوفاً من اقتضاح حالهم - لضبياع حجتهم - أصدرُوا حكمهم عليه بالموت

(١) بسورة نوح الآيات ٥ - ١٠ . (٢) سورة هود الآية ٢٧ .

(٣) سورة المؤمنون الآية ٢٥ . (٤) سورة الأنبياء الآية ٥٨ .

وان شق عليك وعظم إعراضهم عن الاسلام واستطعت أن تجد منفذاً تنفذ فيه إلى ما تحت الأرض حتى تطلع لهم آية يؤمنون بها أو تجد مصعداً تصعد به إلى السماء فتزل لهم آية تقنعهم فافعل ما بدا لك وانك لا تستطيع ذلك فاصبر على إعراضهم وأذيتهم فهذه مشيئته جل وعلا ولو شاء لوفقهم للإيمان ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ فتجزع حيث يكون الصبر واجباً وأنت تعلم بأن ذلك كله مقدر مكتوب . (١)

٢ - معرفة الانسان بطبيعة الحياة الدنيا :

لا شك أن من عرف أن هذه الحياة ليست دار نعيم ولا دار خلود بل هي دار ابتلاء .. دار اعداد لدار البقاء من عرف ذلك وأدرك أن الحياة ليست طريقاً مفروشاً بالزهور والرياحين لم يفاجأ بكوارثها ولم يدهش لأحداثها ، نعم ان المولى عز وجل خلق هذه الحياة الدنيا على طبيعة متقلبة طبيعة امتزجت فيها الأشياء المحبوبة بالمكروهة والمؤلة بالمفرحة فقلما نجد فيها صحة لا ينغصها مرض أو لذة لا يخالطها ألم أو فرحاً لا يكدره حزن أو اجتماعاً لا يكدره فراق أو نجد الراحة والأمان منفردين غير ممتزجين بالتعب والخوف أو نرى عزاً لا يقارنه ذل أو غنى لا يعقبه فقر ... هذه هي طبيعة الدنيا أشار إليها القرآن الكريم بقوله ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ . (٢)

(١) تفسير السقي ج ٢ ص ١٠ ، تفسير البيضاوى ص ٢٠٢ .

(٢) سورة آل عمران الآية ١٣٩ .

ولكم تحمل نوح عليه السلام من قومه من البلاء والأذى ما تحمل ولكن ذلك لم يمنعه من مواصلة الدعوة ولم يفقده صبره فظل يدعوهم بشتى الطرق وقد بين ذلك فى مناجاته لربه ﴿رب إني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدتهم دعائي إلا فرارا . وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم فى آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا . ثم إني دعوتهم جهارا . ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم إسرارا . فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا﴾^(١) ولكن ذلك لم يثمر ولم يجد .. بل كانوا يتهمون به بما ليس فيه فيصبر ﴿وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين﴾^(٢) ﴿إن هو إلا رجل به جنة فترى صوا به حتى حين﴾^(٣) وكان يرشدهم بالحسنة فيقابلوه بالسئنة ويتحمل .. وظل يدعوهم ألف سنة إلا خمسين عاما تارة بالانذار والتبشير وتارة بالسرو والعلن وتارة أخرى بالليل والنهار وبذل ما فى وسعه ليقنعهم بدعوته وصبر على مالقىه منهم من الاتهام والأذى والبلاء .

وإبراهيم عليه السلام لما لم يجد من قومه آذانا صاغية لدعوته بل وجد إعراضا وعداوة وهجرا لم يصدده ذلك عن قصده ولم يدخل الوهن إلى قلبه بل أقام دليلا حسيّا لقومه على بطلان عبادة الأصنام ﴿فجعلهم جذاذا إلا كبيرا لهم لعلهم إليه يرجعون﴾^(٤) وعرف القوم أن الفاعل إبراهيم عليه السلام وانتقاما لآلهتهم المزعومة وخوفاً من اقتضاح حالهم - لضبياع حجتهم - أصدرُوا حكمهم عليه بالموت

(١) بسورة نوح الآيات ٥ - ١٠ . (٢) سورة هود الآية ٢٧ .

(٣) سورة المؤمنون الآية ٢٥ . (٤) سورة الأنبياء الآية ٥٨ .

السمع والبصر والفؤاد وأسبغ عليه نعمه الجمّة الكثيرة من مال وأهل وولد وعشيرة وغيره .. يؤكد هذه الحقيقة قوله تعالى ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ (١) فإذا استرد المالك العظيم وديعته ما بال الانسان يسخط ويحزن ويتألم ؟ .. وما باله لا يقول - مخلصاً - كما علمه الله ﴿إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ إذا نزلت به مصيبة أو حلت به كارثة ؟

وما الذى يمنع من اقتدائه بالسلف الصالح ففى صحيح البخارى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : اشتكى ابن لائى طلحة .. فمات وأبو طلحة خارج فلما رأت امرأته أنه قد مات هيأت شيئاً ونحته فى جانب البيت ، فلما جاء أبو طلحة قال : كيف الغلام ؟ قالت : قد هدأت نفسه وأرجو أن يكون قد استراح وظن أبو طلحة أنها صادقة قال : فمات فلما أصبح اغتسل فلما أراد أن يخرج أعلمته أنه قد مات فصلى مع النبى ﷺ ثم أخبر النبى ﷺ بما كان منها فقال رسول الله ﷺ (لعل الله أن يبارك لكما فى ليلتكما) قال سفيان بن عيينة فقال رجل من الأنصار فرأيت لها تسعة أولاد كلهم قد قرأ القرآن . (٢)

فحينما أرادت أم سليم - زوجة أبى طلحة - أن تخبره بموت ابنه أخبرته بأسلوب هادىء مقنع كى يتجلد ويصبر عسى الله أن يعوضها عنه خيراً فجاء فى صحيح مسلم أنها قالت : (يا أبا طلحة أرأيت لو

(١) سورة النحل الآية ٥٣ .

(٢) صحيح البخارى كتاب الجنائز باب من لم يظهر حزنه عند المصيبة وفى فتح البارى ج ٣ ص ١٣٦

أن قوماً أعاروا عاريتهم أهل بيت فطلبوا عاريتهم ألهم أن يمنعوهم ؟
 قال : لا قالت : فاحتسب ابنك^(١) فشاهدنا من القصة ما جاء
 على لسانها رضى الله عنها أن الأبناء عارية من الله يمنحها لمن يشاء
 من عباده ويستردها متى شاء ، فالإيمان بهذه الحقيقة .. وبهذا المعنى
 يساعد على الصبر ويعين المصاب على تحمل ألم الكارثة مادام يعلم أن
 صاحب الوديعة له أن يسترد حاجته متى ما شاء .

٤ - اليقين بفرج الله :

ومما يعين المرء على الصبر : يقينه بأن فرج الله قريب ونصره آت
 لا شك فيه وأن بعد الضيق الفرج وأن بعد العسر يسرا وأن بعد
 الشدة الرخاء .. يؤكد هذا اليقين قوله تعالى ﴿سيجعل الله بعد
 عسر يسراً﴾^(٢) وأحياناً مقروناً به ﴿فإن مع العسر يسراً﴾ * إن مع
 العسر يسراً^(٣)

مثل هذا اليقين كفيلاً بمعاونة المرء على صبره .. كفيلاً بإشاعة
 الأمل في نفسه .. ومن ثم يؤكد وعد الله وتحقيقه فالله لا يخلف
 الميعاد . قال تعالى ﴿فاصبر إن وعد الله حق واستغفر لذنبك﴾^(٤)
 ومحال على الله أن يخلف وعده مادام قد ذكر أنه حق ومادام قد أكد
 أنه لا يضيع أجر المحسنين كما قال جل شأنه ﴿إنه من يتق ويصبر فإن
 الله لا يضيع أجر المحسنين﴾^(٥) .

(١) صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة باب فضائل أم سليم ج ١٦ ص ١٢ .

(٢) سورة الطلاق الآية ٦ . (٣) سورة الانشراح الآيات ٥ ، ٦ .

(٤) سورة غافر الآية ٥٤ . (٥) سورة يوسف الآية ٩٠ .

أى يعوضهم فى الدنيا خيراً عدا ما يخبئه لهم فى الآخرة ..
والأمثلة على تعويض الصابرين - الموقنين بفرج الله - خيراً كثيراً
معروفة :

منها ما عرفناه من قصة أيوب عليه السلام حين أبقن بفرج الله
ورضى بما وقع له .. انتهى به صبره إلى أحسن النتائج والعواقب .
ومنها ما حصل لأم سلمة رضى الله عنها حين توجهت بكليتها
إلى خالقها وأملت منه الفرج بالخير لها ولأيتامها فكان أن أخلف لها
الله عن زوجها رسوله ﷺ فعنها رضى الله عنها قالت : سمعت
رسول الله ﷺ يقول : « ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول : إنا لله
وإنا إليه راجعون ، اللهم أجرني في مصيبتى وأخلف لي خيراً منها »
الا أجره الله في مصيبته وأخلف له خيراً منها قالت فلما توفى أبو سلمة
قلت كما أمرنى رسول الله ﷺ فأخلف الله لي خيراً منه رسول الله
ﷺ . (١)

ومنها ما وقع ليوسف عليه السلام من حوادث عظام صبر عليها
موقناً برحمة الله فكان نصره جل وعلا له بتمكينه فى الأرض . قال
تعالى ﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ
يَشَاءُ ﴾ (٢) ويرد أهله إليه .

٥ - الاستعانة بالله :

ومما يساعد الصابرين على تجرع مرارة الصبر معرفته بأن الله مع
الصابرين واصبروا إن الله مع الصابرين فإذا صبر فهو فى حمى الله

(١) صحيح مسلم كتاب الجنائز باب ما يقال عند المصيبة ج ٦ ص ٢٢١ .

(٢) سورة الكهف الآية ٥٦ .

أن قوماً أعاروا عاريتهم أهل بيت فطلبوا عاريتهم ألهم أن يمنعوهم ؟
 قال : لا قالت : فاحتسب ابنك^(١) فشاهدنا من القصة ما جاء
 على لسانها رضى الله عنها أن الأبناء عارية من الله يمنحها لمن يشاء
 من عباده ويستردها متى شاء ، فالإيمان بهذه الحقيقة .. وبهذا المعنى
 يساعد على الصبر ويعين المصاب على تحمل ألم الكارثة مادام يعلم أن
 صاحب الوديعة له أن يسترد حاجته متى ما شاء .

٤ - اليقين بفرج الله :

ومما يعين المرء على الصبر : يقينه بأن فرج الله قريب ونصره آت
 لا شك فيه وأن بعد الضيق الفرج وأن بعد العسر يسرا وأن بعد
 الشدة الرخاء .. يؤكد هذا اليقين قوله تعالى ﴿سيجعل الله بعد
 عسر يسراً﴾^(٢) وأحياناً مقروناً به ﴿فإن مع العسر يسراً﴾ * إن مع
 العسر يسراً^(٣)

مثل هذا اليقين كفيلاً بمعاونة المرء على صبره .. كفيلاً بإشاعة
 الأمل في نفسه .. ومن ثم يؤكد وعد الله وتحقيقه فالله لا يخلف
 الميعاد . قال تعالى ﴿فاصبر إن وعد الله حق واستغفر لذنبك﴾^(٤)
 ومحال على الله أن يخلف وعده مادام قد ذكر أنه حق ومادام قد أكد
 أنه لا يضيع أجر المحسنين كما قال جل شأنه ﴿إنه من يتق ويصبر فإن
 الله لا يضيع أجر المحسنين﴾^(٥) .

(١) صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة باب فضائل أم سليم ج ١٦ ص ١٢ .

(٢) سورة الطلاق الآية ٦ . (٣) سورة الانشراح الآيات ٥ ، ٦ .

(٤) سورة غافر الآية ٥٤ . (٥) سورة يوسف الآية ٩٠ .

تعالى ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذَا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا﴾ (١)
 ويقول أيضاً دافعاً للمؤمنين للاقتداء بمن سبقهم في صبرهم ﴿أَمْ
 حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْعِثَّةَ وَلَمَّا بَأْتَكُمْ مِثْلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ
 مَسْتَهْمُ الْبِئْسَاءِ وَالضَّرَاءِ...﴾ (٢)

٧- اليقين بالجزاء الحسن للصابرين :

وهو خير ما يعين المرء على صبره يقول أبوطالب المكي : وأصل
 قلة الصبر ضعف اليقين بحسن جزاء من صبرت له لأنه لو قوى يقينه
 كان الأجل من الوعد عاجلاً إذا كان الواعد صادقاً فيحسن
 صبره . (٣)

ولما كان بيان الجزاء دافعاً لإتيان أى عمل من الأعمال ... وكان
 رب العزة عالماً بنفوس خلقه فقد أشار إلى حسن جزاء الصابرين فمرة
 تحدث عن ذلك الأجر بأسلوب المدح فقال ﴿يَعْمَلُونَ خَيْرًا مِمَّا
 تَحْسَبُ أَنَّكُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٤) ومرة أخرى بين أن ذلك الأجر أحسن من
 أعمالهم . قال تعالى ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا
 يَعْمَلُونَ﴾ (٥)

ومرة أشار إلى أهم شيء في ذلك الأجر وهو تركيته جل وعلا
 ولطفه وإحسانه وشهادته للصابرين بأنهم مهتدون ﴿وَيُشِيرُ الصَّابِرِينَ
 * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ
 عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ (٦)

(١) سورة ص الآية ٤٤ . (٢) سورة البقرة الآية ٢١٣ .

(٣) قوت القلوب ج ١ ص ١٩٩ . (٤) سورة العنكبوت الآيات ٥٨ ، ٥٩ .

(٥) سورة النحل الآية ٩٦ . (٦) سورة البقرة الآية ١٥٥ ، ١٥٧ .

أن قوماً أعاروا عاريتهم أهل بيت فطلبوا عاريتهم ألهم أن يمنعوهم ؟
 قال : لا قالت : فاحتسب ابنك^(١) فشاهدنا من القصة ما جاء
 على لسانها رضى الله عنها أن الأبناء عارية من الله يمنحها لمن يشاء
 من عباده ويستردها متى شاء ، فالإيمان بهذه الحقيقة .. وبهذا المعنى
 يساعد على الصبر ويعين المصاب على تحمل ألم الكارثة مادام يعلم أن
 صاحب الوديعة له أن يسترد حاجته متى ما شاء .

٤ - اليقين بفرج الله :

ومما يعين المرء على الصبر : يقينه بأن فرج الله قريب ونصره آت
 لا شك فيه وأن بعد الضيق الفرج وأن بعد العسر يسرا وأن بعد
 الشدة الرخاء .. يؤكد هذا اليقين قوله تعالى ﴿سيجعل الله بعد
 عسر يسراً﴾^(٢) وأحياناً مقروناً به ﴿فإن مع العسر يسراً﴾ * إن مع
 العسر يسراً^(٣)

مثل هذا اليقين كفيلاً بمعاونة المرء على صبره .. كفيلاً بإشاعة
 الأمل في نفسه .. ومن ثم يؤكد وعد الله وتحقيقه فالله لا يخلف
 الميعاد . قال تعالى ﴿فاصبر إن وعد الله حق واستغفر لذنبك﴾^(٤)
 ومحال على الله أن يخلف وعده مادام قد ذكر أنه حق ومادام قد أكد
 أنه لا يضيع أجر المحسنين كما قال جل شأنه ﴿إنه من يتق ويصبر فإن
 الله لا يضيع أجر المحسنين﴾^(٥) .

(١) صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة باب فضائل أم سليم ج ١٦ ص ١٢ .

(٢) سورة الطلاق الآية ٦ . (٣) سورة الانشراح الآيات ٥ ، ٦ .

(٤) سورة غافر الآية ٥٤ . (٥) سورة يوسف الآية ٩٠ .

الفصل الثالث

الأمور المضادة للصبر

- ☐ الاستعجال .
- ☐ الغضب .
- ☐ الشكوى .
- ☐ الحزن والضيق .
- ☐ البأس .

أنواع الصبر

سبق في أقسام الصبر باعتبار تعلق الأحكام الخمسة به أن الصبر الواجب ثلاثة أنواع هي :

- ١ - صبر على الطاعات وأداء الواجبات .
- ٢ - صبر عن المعاصي والمحرمات .
- ٣ - صبر على المصائب والبلبات .

النوع الأول : الصبر على الطاعات :

نعلم أن الايمان صلة بين الانسان وبين المولى عز وجل وإذا كانت صلة الأخوة والصداقة البشرية لا تعد ولا يذكّر شأنها الا إذا أكدتها الأيام وكشفت عن حقيقتها الحوادث المختلفة فكذلك الايمان فلكى تثبت درجته في نفس العبد ويظهر صدقه لا بد لصلته من ابتلاء - بأوامر ونواه وأقدار - يكشف عن حقيقة تلك الصلة ، ومن ثم فالانسان لا بد أن يدرك تمام الادراك أن الغاية التي خلق لها الخلق وثبت بها أمر الدين هي : معرفة الله وافراده بالعبودية والمحبة والطاعة والإنابة إليه والتوكل عليه وإخلاص العمل له والرضا به واتباع أوامره جميعها والانتفاء عما نهى عنه .

ونحن إذا أمعنا النظر في أركان الاسلام اللازمة وجدنا أننا نحتاج في القيام بها والمداومة عليها إلى تحمل ومعاناة وصبر .. فالصلاة :

ولهذا حث المولى عز وجل رسوله ﷺ على الصبر فقال ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾ (١) أى لا تستعجل لكفار قريش بالعذاب فانه نازل بهم لا محالة فى ذلك .. (٢) ومن ثم فالمشركون لجهلهم يستعجلون عذاب الله غرورا بأنفسهم وعناداً له ﷺ فيأتيهم الجواب ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (٣) أى لولا أجل مسمى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٤) وقت فنائهم بآجالهم ، والمعنى ولولا أجل قد سماه وبينه فى اللوح لعذبهم والحكمة تقتضى تأخيره إلى ذلك الأجل المسمى لجاءهم العذاب عاجلاً وليأتينهم فجأة وهم لا يشعرون بوقت مجيئه . (٥) العبد .

٢ - الغضب :

وهو أيضاً من الأمور المنافية للصبر المضادة له ولما كان الصبر عدة قوية فى يد المصلح والداعية إلى الله فعليه ألا يغضب من المعرضين عنه مهما حاولوا أن يستفزه بالسخرية منه أو الاستهزاء

(١) سورة الأحقاف الآية ٣٥ . (٢) البيضاوى ص ٦٤٦ .

(٣) سورة العنكبوت الآية ٥٣ . (٤) النسخ ج ٣ ص ١٦١ .

(٥) الروح لابن القيم ص ٢٥٨ .

أن قوماً أعاروا عاريتهم أهل بيت فطلبوا عاريتهم ألهم أن يمنعوهم ؟ قال : لا قالت : فاحتسب ابنك^(١) فشاهدنا من القصة ما جاء على لسانها رضى الله عنها أن الأبناء عارية من الله يمنحها لمن يشاء من عباده ويستردها متى شاء ، فالإيمان بهذه الحقيقة .. وبهذا المعنى يساعد على الصبر ويعين المصاب على تحمل ألم الكارثة مادام يعلم أن صاحب الوديعة له أن يسترد حاجته متى ما شاء .

٤ - اليقين بفرج الله :

ومما يعين المرء على الصبر : يقينه بأن فرج الله قريب ونصره آت لا شك فيه وأن بعد الضيق الفرج وأن بعد العسر يسرا وأن بعد الشدة الرخاء .. يؤكد هذا اليقين قوله تعالى ﴿سيجعل الله بعد عسر يسراً﴾^(٢) وأحياناً مقروناً به ﴿فإن مع العسر يسراً﴾ * إن مع العسر يسراً^(٣)

مثل هذا اليقين كفيلاً بمعاونة المرء على صبره .. كفيلاً بإشاعة الأمل في نفسه .. ومن ثم يؤكد وعد الله وتحقيقه فالله لا يخلف الميعاد . قال تعالى ﴿فاصبر إن وعد الله حق واستغفر لذنبك﴾^(٤) ومحال على الله أن يخلف وعده مادام قد ذكر أنه حق ومادام قد أكد أنه لا يضيع أجر المحسنين كما قال جل شأنه ﴿إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾^(٥) .

(١) صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة باب فضائل أم سليم ج ١٦ ص ١٢ .

(٢) سورة الطلاق الآية ٦ . (٣) سورة الانشراح الآيات ٥ ، ٦ .

(٤) سورة غافر الآية ٥٤ . (٥) سورة يوسف الآية ٩٠ .

شق الجيوب ولطم الخدود . يقول ﷺ (ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية) ^(١)

أى من يتخلع قلبه للمصيبة ويجزع فلا يعرف الثبات والشجاعة فى ملاقة الحزن بل يلطم الخدود ويدق الصدور ويشق الجيوب ويدعو بدعوى الجاهلية فيقول واأبتاه .. واقرباه .. وامصيتاه .. ويقول كل ما يعترض بها على القدر وينقد قضاءه .. من كان كذلك فليس من المسلمين ، إنما المسلم الثابت الرزين الصابر المحتسب هو الذى لا يدفعه الحزن إلى التسخط . ^(٢)

وإذا اشتكى العبد ربه إلى مخلوق مثله فقد شكى من يرحمه إلى من لا يرحمه أما إن شكى إلى الله تعالى أمره لم يكن ذلك شكوى بل استضعاف وتعلق واسترحام له ^(٣) كنداء أيوب ربه ﴿أَنى مَسْنَى الْفَرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ ^(٤) وقول يعقوب عليه السلام ﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بَنى وَحَزَنى إِلَى اللَّهِ﴾ ^(٥)

يقول ابن القيم : وأما إخبار المخلوق بالحال فإن كان للاستعانة بإرشاده أو معاونته والتوصل إلى زوال ضرورة لم يقدح ذلك فى الصبر كإخبار المريض للطبيب بشكايته ، وإخبار المظلوم لمن ينتصر به بحاله وإخبار المبتل ببلائه لمن يرجو أن يكون فرجه على يديه . ^(٦)

(١) رواه البخارى كتاب الجنائز باب ليس منا من لطم الخدود - وانظر فتح البارى ج ٣ ص ١٣٢ .

(٢) الأدب النبوى ص ٢٢ (٣) الروح لابن القيم ص ٢٥٩ .

(٤) سورة الأنبياء الآتى ٨٣ . (٥) سورة يوسف الآية ٨٦ .

(٦) عدة الصابرين ص ٢٣٢ .

أن قوماً أعاروا عاريتهم أهل بيت فطلبوا عاريتهم ألهم أن يمنعوهم ؟ قال : لا قالت : فاحتسب ابنك^(١) فشاهدنا من القصة ما جاء على لسانها رضى الله عنها أن الأبناء عارية من الله يمنحها لمن يشاء من عباده ويستردها متى شاء ، فالإيمان بهذه الحقيقة .. وبهذا المعنى يساعد على الصبر ويعين المصاب على تحمل ألم الكارثة مادام يعلم أن صاحب الوديعة له أن يسترد حاجته متى ما شاء .

٤ - اليقين بفرج الله :

ومما يعين المرء على الصبر : يقينه بأن فرج الله قريب ونصره آت لا شك فيه وأن بعد الضيق الفرج وأن بعد العسر يسرا وأن بعد الشدة الرخاء .. يؤكد هذا اليقين قوله تعالى ﴿سيجعل الله بعد عسر يسراً﴾^(٢) وأحياناً مقروناً به ﴿فإن مع العسر يسراً﴾ * إن مع العسر يسراً^(٣)

مثل هذا اليقين كفيلاً بمعاونة المرء على صبره .. كفيلاً بإشاعة الأمل في نفسه .. ومن ثم يؤكد وعد الله وتحقيقه فالله لا يخلف الميعاد . قال تعالى ﴿فاصبر إن وعد الله حق واستغفر لذنبك﴾^(٤) ومحال على الله أن يخلف وعده مادام قد ذكر أنه حق ومادام قد أكد أنه لا يضيع أجر المحسنين كما قال جل شأنه ﴿إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾^(٥) .

(١) صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة باب فضائل أم سليم ج ١٦ ص ١٢ .

(٢) سورة الطلاق الآية ٦ . (٣) سورة الانشراح الآيات ٥ ، ٦ .

(٤) سورة غافر الآية ٥٤ . (٥) سورة يوسف الآية ٩٠ .

لم يكن لديه صبر على استمرار العمل في الأرض أو زرعها ومثله طالب العلم ففلا بد له من الصبر على درسه والاستهانة بالصعاب مهما كانت ولا بد له أن يؤمل النجاح ويضعه نصب عينيه وإذا فشل - لا سمح الله - فعليه ألا ييأس من رحمة الله وليفتش عن أسباب فشله ليتفادها .

ولقد حرص القرآن الكريم على إبعاد اليأس عن المؤمنين ويذر الأمل في نفوسهم فجاء قوله تعالى ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * إِنْ يَمْسِكُكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ (١) وقال تعالى حاكياً لما قاله يعقوب عليه السلام لبنيه ﴿يَا بَنِيَّ أَذْهَبُوا فَتَجَسَّسُوا مِنْ يُونُسَ وَأَخِيهِ وَلَا يَتَّبِعُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَتَّبِعُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ﴾ (٢)

ولما كان الأمل معيناً على الصبر كان اليأس من أعظم الموانع عن الصبر .

(١) سورة آل عمران الآية ١٣٩ .

(٢) ف

سورة يوسف الآية ٨٧ .

أنواع الصبر

سبق في أقسام الصبر باعتبار تعلق الأحكام الخمسة به أن الصبر الواجب ثلاثة أنواع هي :

- ١ - صبر على الطاعات وأداء الواجبات .
- ٢ - صبر عن المعاصي والمحرمات .
- ٣ - صبر على المصائب والبليات .

النوع الأول : الصبر على الطاعات :

نعلم أن الايمان صلة بين الانسان وبين المولى عز وجل وإذا كانت صلة الأخوة والصداقة البشرية لا تعد ولا يذكّر شأنها الا إذا أكدتها الأيام وكشفت عن حقيقتها الحوادث المختلفة فكذلك الايمان فلكى تثبت درجته في نفس العبد ويظهر صدقه لا بد لصلته من ابتلاء - بأوامر ونواه وأقدار - يكشف عن حقيقة تلك الصلة ، ومن ثم فالانسان لا بد أن يدرك تمام الادراك أن الغاية التي خلق لها الخلق وثبت بها أمر الدين هي : معرفة الله وافراده بالعبودية والمحبة والطاعة والإنابة إليه والتوكل عليه واخلاص العمل له والرضا به واتباع أوامره جميعها والانتفاء عما نهى عنه .

ونحن إذا أمعنا النظر في أركان الاسلام اللازمة وجدنا أننا نحتاج في القيام بها والمداومة عليها إلى تحمل ومعاناة وصبر .. فالصلاة :

الله وترك معصيته والصبر أصل ذلك ، والصبر على الطاعة وعن المعصية هو عين الشكر ، وإذا كان الصبر مأموراً به فأدائه هو الشكر .. إذن هما اسمان لمعنيين متغايرين غير أن الواحد منهما لا يمكن أن يستغنى عن صاحبه أو يفضل عليه ولكن أبا طالب المكي يقول في تفضيله الصبر على الشكر : الصبر حال البلاء ، والشكر حال النعمة ، والبلاء أفضل لأنه على النفس أشق لقوله تعالى ﴿إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(١) فالشاكري يوفي أجره بحسب لأن (إنما) تحقيق للوصف ونفي ما عداه^(٢) ويقول أيضاً : واعلم أن الشكر داخل في الصبر والصبر جامع للشكر لأن من صبر أن لا يعصى الله بنعمة فقد شكرها ومن أطاع الله فصبر نفسه على طاعته فقد شكر نعمته .^(٣)

ويرى الغزالي أنه يمكن القول بأن الصبر الذي يفهمه عامة الناس أفضل من الشكر الذي يفهمونه .. وإن كان قد فصل في تفضيل أحدهما على الآخر وبالعكس مرة يقول : قد بينا أن الصبر قد يكون على الطاعة وعن المعصية وفيها يتحد الصبر والشكر لأن الصبر على الطاعة هو عين شكر الطاعة ... والنعمة إما أن تقع ضرورة كالعينين مثلاً وإما أن تقع في محل الحاجة كالزيادة على قدر الكفاية من المال ، أما العينان فصبر الأعمى عنهما بأن لا يظهر الشكوى ويظهر الرضا بقضاء الله تعالى ولا يرتخص بسبب العمى في بعض المعاصي وشكر البصير عليهما من حيث العمل بأمرين :

(١) سورة الزمر الآية ١٠ . (٢) قوت القلوب ج ١ ص ٢٠٠ .

(٣) قوت القلوب ج ١ ص ٢٠١ .

أنواع الصبر

سبق في أقسام الصبر باعتبار تعلق الأحكام الخمسة به أن الصبر الواجب ثلاثة أنواع هي :

- ١ - صبر على الطاعات وأداء الواجبات .
- ٢ - صبر عن المعاصي والمحرمات .
- ٣ - صبر على المصائب والبليات .

النوع الأول : الصبر على الطاعات :

نعلم أن الايمان صلة بين الانسان وبين المولى عز وجل وإذا كانت صلة الأخوة والصداقة البشرية لا تعد ولا يذكّر شأنها الا إذا أكدتها الأيام وكشفت عن حقيقتها الحوادث المختلفة فكذلك الايمان فلكى تثبت درجته في نفس العبد ويظهر صدقه لا بد لصلته من ابتلاء - بأوامر ونواه وأقدار - يكشف عن حقيقة تلك الصلة ، ومن ثم فالانسان لا بد أن يدرك تمام الادراك أن الغاية التي خلق لها الخلق وثبت بها أمر الدين هي : معرفة الله وافراده بالعبودية والمحبة والطاعة والإنابة إليه والتوكل عليه واخلاص العمل له والرضا به واتباع أوامره جميعها والانتفاء عما نهى عنه .

ونحن إذا أمعنا النظر في أركان الاسلام اللازمة وجدنا أننا نحتاج في القيام بها والمداومة عليها إلى تحمل ومعاناة وصبر .. فالصلاة :

بالصبر ولا بالعكس لأنها مطيتان للإيمان لا بد منهما بل الواجب أن يقال أقومهما بالواجب والمندوب هو الأفضل .^(١)
ويذكر ابن القيم تداخل الصبر بالشكر مبينا عدم استغناء أى فرد مسلم عنهما فيقول :

الصبر والشكر حالتان لازمتان للعبد فى أمر الرب ونهيه وقضائه وقدره لا يستغنى عنهما طرفة عين ، والسؤال عن أيهما أفضل كالسؤال عن الحس والحركة أيهما أفضل ، وعن الطعام والشراب أيهما أفضل ، وعن خوف العبد ورجائه أيهما أفضل فالمأمور لا يؤدى الا بصبر وشكر ، والمحذور لا يترك الا بصبر وشكر . وأما المقدور الذى يقدر على العبد من المصائب فتنى صبر عليه اندرج شكره فى صبره كما يندرج صبر الشاكر فى شكره^(٢) والله أعلم .

(١) عدة الصابرين ص ١٢٦ .

(٢) عدة الصابرين ص ١٢٥ .

الخاتمة

بعد هذا البحث الطويل الذى طوفت بسببه فى بعض المراجع والكتب يمكننى اجمال نتائجه فيما يأتى :
أولاً : إن فضيلة الصبر من أعظم الفضائل الاسلامية والأخلاق المثالية التى لا بد منها ليعيش المسلمون راضين فى هذه الحياة .

ثانياً : عناية القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة بفضيلة الصبر دليل واضح على وجوب تحلى المسلمين به وتربيتهم على ممارسته خلقاً وسلوكاً .

ثالثاً : الصبر من الأخلاق الفاضلة المقرونة بالتقوى فى أكثر من موضع ولما كانت التقوى أرفع مقامات الدين كان الصبر أيضاً من أرفع أخلاق المؤمنين .

رابعاً : إن الصبر أنواع وليس نوعاً واحداً كما يفهمه عامة الناس ، وهذه الأنواع واجبة لأنها مرتبطة بطاعة الله والبعد عن معصيته والرضا بقضائه .

خامساً : معرفة المسلم لأقسام الصبر تجعله يتعدى عن المكروه والمحظور منها .

سادساً : إن الصبر على البلاء لا يقلل عن الشكر على النعم .

واحمدہ سبحانہ وتعالیٰ أولاً وآخر حمداً یوافی نعمہ ویکافیء
مزیدہ .. وأسأله أن یعیدنا من شرور أنفسنا وسیئات أفعالنا وأن ینحتم
بالصلحات أعمالنا .

وأصلی وأسلم علی خیر المخلوقین وقدوة الصابرين وإمام المتقین
وخاتم النبیین سیدنا محمد عبده ورسوله وعلی آله وصحبه وأتباعه إلى
یوم الدین آمین .

فهرس المصادر والمراجع

- ١ - القرآن الكريم .
- (حرف الألف)
- ٢ - أحكام القرآن لأبى بكر محمد بن عبدالله (ابن العربى)
دار الفكر بيروت - الطبعة الثالثة .
- ٣ - احياء علوم الدين للامام ابن حامد محمد الغزالى المتوفى سنة
٥٠٥هـ -
- دار احياء الكتب العربية - مطبعة عيسى البابى الحلبي بمصر .
- ٤ - الأدب النبوى لمحمد عبدالعزيز الخولى -
المكتبة التجارية الكبرى بمصر - الطبعة السادسة .
- ٥ - الاعلام لخير الدين الزركلى -
بيروت ١٣٨٩هـ الطبعة الثالثة .
- ٦ - أنبياء الله لأحمد بهجت -
مطابع الشروق - بيروت - الطبعة الرابعة .

(حرف الباء)

- ٧ - بلال مؤذن الرسول تأليف عبدالحميد جودة السحار -
دار مصر للطباعة سعيد جودة السحار وشركاه .

أنواع الصبر

سبق في أقسام الصبر باعتبار تعلق الأحكام الخمسة به أن الصبر الواجب ثلاثة أنواع هي :

- ١ - صبر على الطاعات وأداء الواجبات .
- ٢ - صبر عن المعاصي والمحرمات .
- ٣ - صبر على المصائب والبلبات .

النوع الأول : الصبر على الطاعات :

نعلم أن الايمان صلة بين الانسان وبين المولى عز وجل وإذا كانت صلة الأخوة والصداقة البشرية لا تعد ولا يذكّر شأنها الا إذا أكدتها الأيام وكشفت عن حقيقتها الحوادث المختلفة فكذلك الايمان فلكى تثبت درجته في نفس العبد ويظهر صدقه لا بد لصلته من ابتلاء - بأوامر ونواه وأقدار - يكشف عن حقيقة تلك الصلة ، ومن ثم فالانسان لا بد أن يدرك تمام الادراك أن الغاية التي خلق لها الخلق وثبت بها أمر الدين هي : معرفة الله وافراده بالعبودية والمحبة والطاعة والإنابة إليه والتوكل عليه وإخلاص العمل له والرضا به واتباع أوامره جميعها والانتفاء عما نهى عنه .

ونحن إذا أمعنا النظر في أركان الاسلام اللازمة وجدنا أننا نحتاج في القيام بها والمداومة عليها إلى تحمل ومعاناة وصبر .. فالصلاة :

١٧ - جواهر الأدب لأحمد الهاشمي - المكتبة التجارية الكبرى -
الطبعة السادسة والعشرون ١٣٨٥هـ .

١٨ - الجامع الصغير في أحاديث البشير للإمام جلال الدين
السيوطي - مطبعة البابي الحلبي بمصر - الطبعة الرابعة .

(حرف الخاء)

١٩ - حلية الأولياء للحافظ أبي نعيم أحمد الإصبهاني - دار
الكتاب العربي - بيروت - الطبعة الثانية .

(حرف الحاء)

٢٠ - خلق المسلم لمحمد الغزالي
دار الكتب الحديثة - عابدين بمصر - الطبعة الثامنة .

(حرف الراء)

٢١ - رياض الصالحين لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي -
دار الكتاب العربي - بيروت .

٢٢ - الروح لابن قيم الجوزية -
دار الكتب العلمية بيروت ١٣٩٥هـ .

٢٣ - روح المعاني لأبي الفضل شهاب الدين محمود الألوس -
إدارة الطباعة المنيرة .

٢٤ - رجال حول الرسول خالد محمد خالد -
دار الكتاب العربي - بيروت - الطبعة الثانية ١٩٧٣م .

(حرف العين)

- ٣٣ - عون المعبود - شرح سنن أبي داود لأبي الطيب محمد شمس الحق - الناشر المكتبة السلفية بالمدينة المنورة - الطبعة الثانية .
- ٣٤ - عدة الصابرين لابن قيم الجوزية - دار الكتب العلمية - بيروت .

(حرف الفاء)

- ٣٥ - في ظلال القرآن لسيد قطب - الطبعة السادسة .
- ٣٦ - فتح الباري شرح صحيح البخاري لشهاب الدين بن حجر العسقلاني - دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت - الطبعة الثانية .

(حرف القاف)

- ٣٧ - القاموس المحيط مجد الدين الفيروز آبادي - دار الفكر - بيروت .
- ٣٨ - قوت القلوب لأبي طالب محمد بن علي المكي - المطبعة الميمنية بمصر ١٣٠٦ هـ .
- ٣٩ - قصصنا آدم ويوسف عليهما السلام لعبد الكريم الخطيب - دار الفكر العربي - بيروت .

- دار الفكر - بيروت - الطبعة الثامنة .
- ٤٩ - مع الأنبياء لعفيف عبدالفتاح طيارة -
دار العلم للملايين - بيروت الطبعة الرابعة .
- ٥٠ - المعاملات المادية والأدبية لعلی فکری -
مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر - الطبعة الأولى .
- ٥١ - المدخل لدراسة القرآن الكريم د . محمد محمد أبوشهبة -
الطبعة الثانية .
- ٥٢ - مجلة الوعي الاسلامي (العدد ١٣٩ - غرة رجب ١٣٩٦هـ)
وزارة العدل والأوقاف والشئون الاسلامية - الكويت .

(حرف النون)

- ٥٣ - نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار لمحمد بن علي الشوكاني -
مطبعة مصطفى البابي الحلبي الطبعة الأخيرة .

(حرف الواو)

- ٥٤ - وفيات الأعيان لأبي العباس شمس الدين أحمد بن
خلكان - دار صادر بيروت - المجلد السادس - تحقيق
الدكتور احسان عباس .

فهرس الموضوعات

الفهرس

الصفحة

مقدمة ٧

الباب الأول

الفصل الأول : تعريف الخلق لغة وشرعا ١٣

الفصل الثاني : امهات الأخلاق ١٧

الفصل الثالث : مظاهر حسن الخلق ٢١

الفصل الرابع : الأحاديث الدالة على فضيلة حسن الخلق

٣٩

الباب الثاني

الصبر وحقيقته

الفصل الأول : معنى الصبر لغة ٤٥

الفصل الثاني : حقيقة الصبر ٤٧

الفصل الثالث : عناية القرآن الكريم بفضيلة الصبر ٥١

١٨٥

الباب الرابع أنواع الصبر

الفصل الأول : أنواع الصبر ٩٣

- ٩٥ □ الصبر على الطاعات وأداء الواجبات ...
- ١٢٢ □ الصبر عن المعاصي
- ١٣٧ □ الصبر على المصائب والبليات

الفصل الثاني : الأسباب التي تعين على الصبر ١٤٩

- ١٥١ □ الإيمان بقدر الله وقضائه
- ١٥٣ □ معرفة الانسان بطبيعة الحياة الدنيا
- ١٥٤ □ معرفة الانسان نفسه
- ١٥٦ □ اليقين بفرج الله
- ١٥٧ □ الاستعانة بالله
- ١٥٨ □ الاقتداء بالأنبياء
- ١٥٩ □ اليقين بالجزاء الحسن للصابرين

الفصل الثالث : الأمور المضادة للصبر ١٦١

- ١٦٢ □ الاستعجال
- ١٦٣ □ الغضب
- ١٦٤ □ الشكوى
- ١٦٥ □ الحزن والضيق
- ١٦٦ □ اليأس

الفصل الرابع : تداخل حقيقة الصبر بحقيقة الشكر ١٦٨

صدر من هذه السلسلة

المؤلف	الكتاب
[الدكتور حسن باجودة]	١ - تأملات في سورة الفاتحة
[الأستاذ أحمد محمد جمال]	٢ - الجهاد في الإسلام مراتبه ومطالبه
[الأستاذ نذير حمدان]	٣ - الرسول ﷺ في كتابات المستشرقين
[الدكتور حسين مؤنس]	١٤ - الإسلام الفاتح
[الدكتور حسان محمد حسان]	٥ - وسائل مقاومة الغزو الفكري
[الدكتور عبد الصبور مرزوق]	٦ - السيرة النبوية في القرآن الكريم
[الدكتور علي محمد جريشة]	٧ - التخطيط للدعوة الإسلامية
[الدكتور أحمد السيد دراج]	٨ - صناعة الكتابة وتطورها في العصور الإسلامية
[الأستاذ عبد الله بوقس]	٩ - النوعية الشاملة في الحج
[الدكتور عباس حسن محمد]	١٠ - الفقه الإسلامي آفاقه وتطوره
[د. عبد الحميد محمد الهاشمي]	١١ - لمحات نفسية في القرآن الكريم
[الأستاذ محمد طاهر حكيم]	١٢ - السنة في مواجهة الأباطيل
[الأستاذ حسين أحمد حسون]	١٣ - مولود على الفطرة
[الأستاذ علي محمد مختار]	١٤ - دور المسجد في الإسلام
[الدكتور محمد سالم محيسن]	١٥ - تاريخ القرآن الكريم
[الأستاذ محمد محمود فرغلي]	١٦ - البيئة الإدارية في الجاهلية وصدر الإسلام
[الدكتور محمد الصادق عفيق]	١٧ - حقوق المرأة في الإسلام
[الأستاذ أحمد محمد جمال]	١٨ - القرآن الكريم كتاب أحكمت آياته [١]
[الدكتور شعبان محمد اسماعيل]	١٩ - القراءات أحكامها ومصادرها
[الدكتور عبد الستار السعيد]	٢٠ - المعاملات في الشريعة الإسلامية
[الدكتور علي محمد العماري]	٢١ - الزكاة فلسفتها وأحكامها
[الدكتور أبو اليزيد العجمي]	٢٢ - حقيقة الإنسان بين القرآن وتصور العلوم
[الأستاذ سيد عبد المجيد بكر]	٢٣ - الأقليات المسلمة في آسيا وأستراليا
[الدكتور عدنان محمد وزان]	٢٤ - الاستشراق والمستشرقون وجهة نظر
[معالي عبد الحميد حموده]	٢٥ - الإسلام والحركات الهدامة

الكتاب

المؤلف

- ٢٦ - تربية النشء في ظل الإسلام ————— [الدكتور محمد محمود عمارة]
- ٢٧ - مفهوم ومنهج الاقتصاد الإسلامى ————— [الدكتور محمد شوقى الفنجرى]
- ٢٨ - وحى الله ————— [الدكتور حسن ضياء الدين عتر]
- ٢٩ - حقوق الإنسان وواجباته فى القرآن ————— [حسن أحمد عبد الرحمن عابدين]
- ٣٠ - المنهج الإسلامى فى تعليم العلوم الطبيعية ————— [الأستاذ محمد عمر القصار]
- ٣١ - القرآن كتاب أحكمت آياته [٢] ————— [الأستاذ أحمد محمد جمال]
- ٣٢ - الدعوة فى الإسلام عقيدة ومنهج ————— [الدكتور السيد رزق الطويل]
- ٣٣ - الاعلام فى المجتمع الإسلامى ————— [الأستاذ حامد عبد الواحد]
- ٣٤ - الالتزام الدينى منهج وسط ————— [عبد الرحمن حسن حنكة الميدانى]
- ٣٥ - التربية النفسية فى المنهج الإسلامى ————— [الدكتور حسن الشرقاوى]
- ٣٦ - الإسلام والعلاقات الدولية ————— [الدكتور محمد الصادق عفيفى]
- ٣٧ - العسكرية الإسلامية ونهضتنا الحضارية ————— [اللواء الركن محمد جمال الدين محفوظ]
- ٣٨ - معانى الأخوة فى الإسلام ومقاصدها ————— [الدكتور محمود محمد بابلى]
- ٣٩ - النهج الحديث فى مختصر علوم الحديث ————— [الدكتور على محمد نصر]
- ٤٠ - من التراث الاقتصادى للمسلمين ————— [الدكتور محمد رفعت العوضى]
- ٤١ - المفاهيم الاقتصادية فى الإسلام ————— [د. عبد العليم عبد الرحمن خضر]
- ٤٢ - الأقليات المسلمة فى أفريقيا ————— [الأستاذ سيد عبد المجيد بكر]
- ٤٣ - الأقليات المسلمة فى أوروبا ————— [الأستاذ سيد عبد المجيد بكر]
- ٤٤ - الأقليات المسلمة فى الأمريكتين ————— [الأستاذ سيد عبد المجيد بكر]
- ٤٥ - الطريق إلى النصر ————— [الأستاذ محمد عبد الله فودة]
- ٤٦ - الإسلام دعوة حق ————— [الدكتور السيد رزق الطويل]
- ٤٧ - الأسلام والنظر فى آيات الله الكونية ————— [الدكتور محمد عبد الله الشرقاوى]
- ٤٨ - دحض مفتريات ————— [د. البدر اوى عبد الوهاب زهران]
- ٤٩ - المجاهدون فى فطانى ————— [الأستاذ محمد ضياء شهاب]
- ٥٠ - معجزة خلق الإنسان ————— [د. عبد الرحمن عثمان]

المؤلف	الكتاب
[الدكتور سيد عبد الحميد مرسى]	٥١ - مفهوم القيادة في إطار العقيدة الإسلامية
[أنور الجنـــــــــــــــــدى]	٥٢ - ما يختلف فيه الاسلام عن الفكر الغربى والماركسى
[د. محمد أحمد البابلى]	٥٣ - الشورى سلوك والتزام

طبع بطابع رابطة العالم الإسلامي - مكة المكرمة